

﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ
وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ
ثُمَّ يَهْبِجُ فَتَرْتَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَلًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ
شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ
الْعُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾ [الحديد: 20]

❖ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا صَوَّرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مَالَ الْفَرِيقَيْنِ فِي الْآخِرَةِ، فَخَلَّدَ ذِكْرَ أَهْلِ
الْإِيمَانِ، وَمَا أَعَدَّ لَهُمْ مِنَ الْأَجْرِ وَالنُّورِ، وَفَضَحَ حَالَ الْكَافِرِينَ، وَمَا
أَعَدَّ لَهُمْ مِنَ الْجَحِيمِ وَالنَّكَالِ؛ أَعَقَبَ ذَلِكَ بِتَزْهِيدٍ بَلِيغٍ فِي الدُّنْيَا،
فَكَشَفَ حَقِيقَتَهَا، وَحَقَّرَ شَأْنَهَا^(١)، فَقَالَ ﷺ: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا
لَعِبٌ وَلَهُمْ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾، فَبَيَّنَ
بِعِبَارَةٍ جَامِعَةٍ أَنَّهَا مَتَاعٌ زَائِلٌ، وَسَرَابٌ خَادِعٌ؛ لِيَصْرِفَ الْقُلُوبَ عَنِ
الْإِغْتِرَارِ بِهَا، وَيَحْتَثُّهَا عَلَى طَلَبِ الْبَاقِيَّاتِ الصَّالِحَاتِ.

بَيَانُ مَالِ
الْفَرِيقَيْنِ
فِي الْآخِرَةِ،
وَتَزْهِيدٌ بَلِيغٌ فِي
الدُّنْيَا وَكُشْفٌ
لِحَقِيقَتِهَا الزَّائِلَةِ

❖ شَرْحُ الْمُفْرَدَاتِ:

(1) ﴿لَعِبٌ﴾: مصدر للفعْل (لَعِبَ يَلْعَبُ)، وجذره اللُّغُوِيُّ: (لَعِبَ)،
وَاللَّعِبُ مَا كَانَ نَقِيضَ الْجِدِّ، وَكَذَلِكَ مَا كَانَ مِنَ الْهَزْلِ، فَكُلُّ هَازِلٍ
هُوَ لَاعِبٌ⁽²⁾، وَرَجُلٌ تَلْعَابَةٌ: كَثِيرُ اللَّعِبِ، وَالْمَلْعَبُ: مَوْضِعُ اللَّعِبِ، وَاللُّعْبَةُ
بِالضَّمِّ: لَعِبَةُ الشَّطْرَنْجِ وَالنَّرْدِ، وَكُلُّ مَلْعُوبٍ بِهِ فَهُوَ لُعْبَةٌ؛ لِأَنَّهُ اسْمٌ،
وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: اقْعُدْ حَتَّى أَفْرَغَ مِنْ هَذِهِ اللَّعْبَةِ⁽³⁾، وَالْأَصْلُ فِي اللَّامِ
وَالْعَيْنِ وَالْبَاءِ: اللَّعِبُ الْمَعْرُوفُ، وَاللَّعَابُ أَيْضًا، وَمَنْ فَعَلَ فَعَلًا، وَهُوَ

(1) الشَّريبي، السراج المنير: 4 / 210.

(2) ابن دريد، جمهرة اللغة، والفيروزآبادي، القاموس المحيط: (لعب).

(3) الجوهري، الصحاح: (لعب).

غَيْرُ قَاصِدٍ بِهِ الصَّحِيحُ؛ فقد لعب، وكذا ما كان الفعل الصادر من الإنسان الذي لا يُجدي نفعاً فهو لعب⁽¹⁾، وإذا كان الفعل دالاً على اضطرابٍ وتسيبٍ في ما يصدر عن الشيء نتيجة تجمع حيويته، أو نشاطه، أو عدم استقامة، أو عدم قصد في الاتجاه والتصرف؛ فهو اللعب⁽²⁾، ومعنى **(لَعِبٌ)** في الآية محلُّ الشاهد يحتمل اللعب المعروف، ويحتمل الأكل، ويحتمل ما كان ترغيباً في الدنيا، ويحتمل الاقتناء⁽³⁾.

(2) **(وَلَهُوَ)**: مصدر للفعل (لها يلهو)، وجذره اللغوي (لهو)، وهو ما لهوت به، وشغلك من هوى وطرب، ومن معانيه: الإعراض والصدوف عن الشيء، وتقول: لهيت عن الشيء، ولهيت منه، وآله عن هذا الأمر، ومنه قول الله تعالى: **(لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوَاً لَأَخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا)** [الأنبياء: 17]، وقيل: اللهو هو الطبل، وقيل: هو كل ما يلهى به⁽⁴⁾، ويقال: لهيت عن الشيء؛ إذا تركته لغيره، ويقولون: إذا استأثر الله تعالى بشيء؛ فاله عنه، أي: أتركه، ولا تشغل به⁽⁵⁾، وكل ما يشغل الإنسان عما يهمله، ويعنيه؛ فهو من اللهو، وكذلك اللعب والتشغل بالشيء، والغفلة عن غيره، والانغماس في أمر مع عدم جدواه، فهو لهو⁽⁶⁾، ومعنى **(وَلَهُوَ)** في الآية الكريمة: "كل ما أريد به غير الله، أو كل ما شغل عن الدين"⁽⁷⁾.

(3) **(وَزِينَةٌ)**: اسم مؤنث من الجذر اللغوي (زين)، والزين: نقيض الشين، وهو اسم جامع لكل ما يتجمل به، ومعناه: زيادة محبة تتعلق بظاهر الشيء، حاصلة عما يزخر به باطنه، ومن ذلك الأصل جاء المعنى الشائع للتزيين، وهو التحلي بحلية مكسبة؛ تقليداً لما ينشأ من البدن، كالتجمل بالأصباغ ونحوها، فالزین يدل على حسن الشيء، يقال: زينت الشيء تزييناً، وأزيت الأرض، وازدانت؛ إذا حسنها عشبها، والزينة هي الحلية الظاهرة، أما الزينة الحقيقية؛ فهي ما لا يشين الإنسان في أي حال من أحواله، لا في الدنيا ولا في الآخرة، والتزيين هو التحسين لما يدرك بالحس دون ما يدرك بالعقل؛ ولهذا

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (لعب).

(2) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (لعب).

(3) اللوردي، النكت والعيون: 480/5.

(4) الخليل، العين، وابن سيده، للحكم: (لهو).

(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (لهو).

(6) الراغب، المفردات، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (لهو).

(7) السمعاني، تفسير القرآن: 374/5.

استُعْمِلَ في أوصاف الدُّنْيَا دون أوصاف الآخرة⁽¹⁾، ومعنى ﴿وَزِينَةً﴾ في الآية الكريمة: ما كان من المناظر التي يَتَرَيُّنُونَهَا⁽²⁾.

(4) ﴿وَتَفَاخُرٌ﴾: مصدرٌ على زنةِ (تَفَاعَلَ)، وجذره اللُّغَوِيُّ: (فخر)، ولم يرد من هذا الجذر إلا هذه اللَّفْظَةُ في جميع القرآن الكريم، والفَخْرُ: أَنْ تَنْشُرَ مَنْاقِبَ الرَّجُلِ وَكِرْمَهُ، وإذا عَدَّ المرءُ قديمَهُ: فقد افتخر، والتَّفَاخُرُ هو التَّكَبُّرُ والتَّعَاضُمُ بما عندكَ⁽³⁾، والأصل في الفاء والخاء والراء: أن يدلَّ على العِظَمِ والقِدَمِ، والفَخْرُ على الشَّيْءِ: تفضيله عليه، والفخر من الأشياء: جيدها، ويُقال: نخلةٌ فخورٌ؛ إذا كانت عظيمة الجذع غليظة السَّعَفِ، والفخر: "المباهاة في الأشياء الخارجة عن الإنسان، كالمال والجاه"⁽⁴⁾، ومعنى ﴿وَتَفَاخُرٌ﴾ في الآية الكريمة: التَّبَاهِي الذي يتداولونه في أحسابهم وأنسابهم⁽⁵⁾، يَتَبَاهَى كُلُّ مَنْهُمْ على الآخر بمَجْدٍ موروثٍ لا مُكْتَسَبٍ.

(5) ﴿وَتَكَاثُرٌ﴾: مصدرٌ على زنةِ (تَفَاعَلَ)، وجذره اللُّغَوِيُّ: (كثر)، ولم يرد على هذه الصيغة والجذر معاً في جميع القرآن الكريم إلا موضعان، هذا الموضع من سورة الحديد، والآخر: في سورة التكاثر، والفعل منه: كَثُرَ يَكْثُرُ، وأصل معنى الكثرة في لغة العرب: خلافُ القلة، واستكثرتُ من الشَّيْءِ، أي: أكثرْتُ منه، والأصل في الكاف والثاء والراء يدلُّ على الكثرة⁽⁶⁾، ومعناه المحوريُّ: أن يزيدَ عددُ أفرادِ الشَّيْءِ بالنسبة لما هو معتادٌ أو متوقعٌ، وسائر ما وردَ في الكتاب الكريم من الكثرة هو نقيضُ القلة⁽⁷⁾، ومعنى ﴿وَتَكَاثُرٌ﴾ في الآية محلُّ الشَّاهد: المباهاة بما عندهم من زيادة في الأموال والأولاد⁽⁸⁾.

(6) ﴿غَيْثٌ﴾: اسم ثلاثي مجرد، وجذر اللُّغَوِيُّ: (غيث)، ومعنى الغيث: المطر، ويعبر عن الكلأ النَّابت بفعل المطر أيضاً، و"الغين والياء والثاء: أصل صحيح، وهو الحيا النَّازل

(1) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللغة، والزاغب، المفردات، والسمين الحلي، عمدة الحفاظ، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقيِّ للمُؤَصِّل: (زين).

(2) البغوي، معالم التنزيل: 39/8.

(3) الخليل، العين، وابن دريد، جمهرة اللغة، والجوهري، الصحاح: (فخر).

(4) ابن فارس، مقاييس اللغة، والزاغب، المفردات: (فخر).

(5) الفيروزآبادي، تنوير المقباس، ص: 458.

(6) ابن دريد، جمهرة اللغة، والجوهري، الصحاح، وابن فارس، مقاييس اللغة: (كثر).

(7) محمد جبل، المعجم الاشتقاقيِّ للمُؤَصِّل: (كثر).

(8) الثعلبي، الكشف والبيان: 78/26.

من السماء"، ويجوز أن يكون الغيثُ مصدرًا للفعل: غَاثَ يَغِيثُ، ويجوز أن يكون الغيثُ هو المطرُ المختصُّ بالخير، ويكون كثيرًا نافعاً⁽¹⁾، والمعنى المحوري للغيث هو الماءُ المنتشر مطراً، أو المتتابع من شدة كثرته؛ فهو كالماءِ الموصوف الذي يسقي الأرض، فتخضرُ، وتزهر، ومن هنا أطلق الغيثُ أحياناً على السحابِ والنباتِ نفسه؛ إذ الغيث في الأصل: الكَلأُ النَّابتُ من ماءِ السماء⁽²⁾، ومعنى «غَيْثٍ» في الآية: المطر المحيي الذي يأتي حين يبيأسُ النَّاسُ مِنَ الغيثِ، وَيَقْنَطُونَ⁽³⁾.

(7) «أَعْجَبَ»: فعل ماضٍ، وجذره اللُّغويُّ: (عجب)، والعجبُ: قرين الدهشة، وهو معروف، والعجبُ أن يُتَكَرَّرَ الإنسان ما يرى من شيءٍ يقلُّ وقوعه، وقد يحصل التَّعَجُّبُ من حُسْنِ الشَّيْءِ، والعَيْنُ والجَيْمُ والبَاءُ أصلٌ صحيح في اللُّغة يدلُّ على الكِبَرِ والتَّعَاضُمِ والاستكبار، والعجبُ أن يتكبَّرَ المرءُ في نفسه، ويستعظمَها، فيقال: فلانٌ معجبٌ بنفسه⁽⁴⁾، والعجبُ والتَّعَجُّبُ حالٌ تطرأ على الإنسان عند خفاءِ السَّبَبِ عنه، وجهله بكنهه الشَّيْءِ؛ ولذا قال بعضُ الحكماء: العجبُ ما لا يُعْرَفُ سببه، وإذا كان الشَّيْءُ غريباً؛ حَقَّ العجبُ منه⁽⁵⁾، ومعنى «أَعْجَبَ» في الآية: راقهم ما أنبت من خُصرة وزينة بعد بَيَاسٍ وَقَحْطٍ⁽⁶⁾.

(8) «الْكُفَّارُ»: جمعُ مكسَّر، مفردة: كافر، وجذره اللُّغويُّ: (كفر)، ومن معاني الكفر: التَّغْطِيَةُ، فكلُّ ما غطى شيئاً، وستره؛ فقد كفره في لسان العرب، فالثوب: كافرٌ الدَّرْعُ لستره لها، والكافر هو الليل والبحر ومغيبُ الشَّمْسِ، والأصل في الكاف والفاء والراء: دلالتها على التَّغْطِيَةِ⁽⁷⁾، والكفر: "ستر الشَّيْءِ، ووُصِفَ الليل بالكافر؛ لستره الأشخاص"⁽⁸⁾، ويُسمَّى الزَّارِعُ كافرًا؛ إِذْ يُلْقِي الحَبَّ في بطن الأرض، ثُمَّ يَغْطِيهِ بترابها، فكأنه كفره عن الأنظار؛ ولهذا جاء جَمَعُهُ على: كُفَّارٍ⁽⁹⁾، ويُسمَّى غيرُ المؤمن كافرًا؛ لأنه غطى بِعَمَاهُ ما

(1) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة، والزبيدي، تاج العروس: (غيث).

(2) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (غيث).

(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 7/ 185.

(4) ابن دريد، جمهرة اللغة، الأزهري، تهذيب اللغة، والجوهري، الصحاح، وابن فارس، مقاييس اللغة: (عجب).

(5) الراغب، المفردات، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (عجب).

(6) الألويسي، روح المعاني: 14/ 185.

(7) الخليل، العين، وابن دريد، جمهرة اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة: (كفر).

(8) الراغب، المفردات: (كفر).

(9) الصحاري، الإبانة في اللغة العربية: 4/ 105.

يَرى مِنْ شَوَاهِدِ عَظْمَةِ الْحَقِّ سَبْحَانَهُ، وَأَدَلَّتْهُ الظَّاهِرَةُ وَالْبَاطِنَةُ⁽¹⁾، وَمَعْنَى ﴿الْكَفَّارَ﴾ فِي الْآيَةِ مَحَلُّ التَّفْسِيرِ: الزُّرَّاعُ، وَاحِدُهُمْ: كَافِرٌ؛ وَسُمِّيَ الزُّرَّاعُ كَافِرًا؛ لِأَنَّهُ إِذَا أَلْقَى الْبَذَرَ فِي الْأَرْضِ؛ غَطَّاهُ بِالتُّرَابِ، وَكُلُّ شَيْءٍ غُطِّيَتْهُ؛ فَقَدْ كَفَرَتْهُ⁽²⁾.

(9) ﴿يَهِيْجُ﴾: فَعْلٌ مُضَارِعٌ دَالٌّ عَلَى الْحَالِ وَالِاسْتِقْبَالِ، وَالْجَذْرُ اللَّغَوِيُّ مِنْهُ: (هِيَجَ)، وَمِنْهُ: هَاجَ الْبَقْلُ؛ إِذَا طَالَ، وَصَارَ مَصْفَرًّا، وَمِنْهُ: الْهَيْجَانُ، بِمَعْنَى الثَّوْرَانِ، وَثَوْرَانُ الشَّيْءِ لِلْمَشَقَّةِ وَالضَّرَرِ يَدْخُلُ فِي هَذَا الْمَعْنَى، وَأَهَاجَتِ الرِّيحُ النَّبْتَ، فَأَيَّسَتْهُ، وَالْهَيْجَانُ: الْفَوْرَةُ وَالْغَضَبُ⁽³⁾، وَ"الْهَاءُ وَالْيَاءُ وَالْجِيمُ: أَصْلَانِ صَحِيحَانِ، أَحَدُهُمَا: يَدُلُّ عَلَى ثَوْرَانِ شَيْءٍ، وَالْآخَرُ: عَلَى يُبَسِّ نَبَاتٍ"⁽⁴⁾، وَمَعْنَى ﴿يَهِيْجُ﴾ فِي الْآيَةِ: يَشْرَعُ النَّبَاتُ فِي الذُّبُولِ وَالْجَفَافِ، فَتَبْتَدِئُ فِيهِ الصُّفْرَةُ⁽⁵⁾، وَتُظْهِرُ عَلَيْهِ أَمَارَاتُ الْيُبْسِ بَعْدَ خُضْرَتِهِ وَنُضَارَتِهِ.

(10) ﴿مُصْفَرًّا﴾: صِفَةٌ دَالَّةٌ عَلَى اللَّوْنِ، وَالْجَذْرُ اللَّغَوِيُّ مِنْهُ: (صَفَرَ)، وَمِنْهُ: الصُّفْرَةُ، وَهُوَ اللَّوْنُ الْمَعْرُوفُ، وَمِنْهُ: الصَّفَارُ، وَهُوَ صَفْرَةٌ تَعْلُو اللَّوْنَ أَوْ الْبَشْرَةَ؛ بِسَبَبِ عِلَّةٍ أَوْ دَاءٍ يَطْرَأُ عَلَى الْجَسَدِ، وَالصَّادُ وَالْفَاءُ وَالرَّاءُ أَصُولٌ عِدَّةٌ، أَوَّلُهَا: اللَّوْنُ الْمَعْرُوفُ، وَيَعْرِفُ الرُّومُ بِأَنَّهُمْ بَنُو الْأَصْفَرِ؛ لِأَنَّ أَبَاهُمْ الْأَوَّلَ كَانَ عَلَى هَذَا اللَّوْنِ⁽⁶⁾، وَقَدْ اقْتَرَنَتِ الصُّفْرَةُ بِذُبُولِ النَّبَاتِ، وَهَذَا أَمْرٌ مُشَاهَدٌ عَيْنًا؛ إِذْ تَرَى الْعُودَ الْأَخْضَرَ، إِذَا أَخَذَ فِي الْجَفَافِ؛ تَبَدَّتْ فِيهِ الصُّفْرَةُ، وَالْقَصَبَةُ إِذَا قُطِعَتْ رَطْبَةً، فَأَخَذَتْ تَبَيَّسَ؛ رَأَيْتَ فِيهَا طَرَائِقَ قَدْ اصْفَرَّتْ⁽⁷⁾، وَلَا يَبْعُدُ مَعْنَى ﴿مُصْفَرًّا﴾ عَنْ هَذَا، فَإِنَّ الزَّرْعَ يَكُونُ عَلَى هَذَا اللَّوْنِ، وَهُوَ الْأَصْفَرُ بَعْدَمَا كَانَ خَضِرًا نَضِرًا⁽⁸⁾.

(11) ﴿حُطَّامًا﴾: اسْمٌ عَلَى وَزْنِ (فُعَالٍ)، وَجَذْرُهُ اللَّغَوِيُّ: (حَطَمَ)، وَالْحَطْمُ: أَنْ تَكْسِرَ الشَّيْءَ الْيَابِسَ، كَالْعَظْمِ وَأَمْثَالِهِ، فَإِذَا كَسَرْتَهُ؛ سُمِّيَ ذَلِكَ الْمَتَكْسِرُ حُطَّامًا، كَقِشْرِ الْبَيْضِ،

(1) وجبل، للعجم الاشتقاقى للؤصل: (كفر).

(2) ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص: 52.

(3) الخليل، العين، والقالى، البارعى فى اللغة، والجوهري، الصحاح، والزبيدي، تاج العروس: (هيج).

(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (هيج).

(5) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه: 127/5.

(6) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة، والزبيدي، تاج العروس: (صفر).

(7) محمد جبل، للعجم الاشتقاقى للؤصل: (صفر).

(8) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 185/7.

والأصل في الحاء والطاء والميم: التَّكْسِير، ويقال للسَّنة الشَّديدة: الحُطْمَة؛ لأنها تَحْطِمُ كُلَّ شَيْءٍ، وَيُسْتَعْمَلُ الحَطْمُ والتَّحْطِيمُ لكلِّ كَسْرٍ متناهٍ بالغِ القُوَّةِ⁽¹⁾، واشْتُقَّ من اللَّفْظَةِ اسْمٌ للنَّارِ، وهي الحُطْمَة؛ لأنَّه يَشْي بَتَّصْوِيرٍ بالغٍ في تحطيمٍ ما يُلْقَى فيها⁽²⁾، ومعنى ﴿حُطْمًا﴾ في الآية: يُحِيلُهُ بَعْدَ خُضْرَتِهِ ونضارته إلى ما تَحْطُمُ، وتكسَّر، كالرُّفَاتِ والفُتَاتِ الذي تَذَرُوهُ الرِّيحُ⁽³⁾.

❁ المعنى الإجمالي:

اعلموا أيُّهَا النَّاسُ أَنَّ مَتَاعَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا الذي عُجِّلَ لَكُمْ، ليس إِلَّا لَعِبًا تلهو به النُّفُوسُ، ولهُوَ تَتَفَكَّهُ به القُلُوبُ، وَزِينَةٌ تَتَبَاهَوْنَ بِهَا، وَمَجَالًا يُفَاخِرُ فِيهِ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ بما أُوتِيَ مِنْ زَخَارِفِهَا وَرِيَاشِهَا، وَتَكَاثَرًا بِالأَمْوَالِ والأَوْلَادِ، كَمَثَلِ غَيْثٍ أَنْبَتَ نَبَاتًا أَبْهَجَ الْكُفَّارَ نضارُهُ وخضرته، حَتَّى إِذَا أَشْرَقَ، وَازْدَانَ، وَأَدْهَشَ الأبْصَارَ، لَمْ يَلْبَثْ أَنْ يَبْبَسَ، وَيَصْفَرَ بَعْدَ اخْضِرَارِهِ، ثُمَّ يَغْدُو حُطَامًا تَذَرُوهُ الرِّيحُ، وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ لِلْكَافِرِينَ، وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَرِضْوَانٌ لِلْمُؤْمِنِينَ بِهِ وَبِرُسُلِهِ، فَمَا هَذِهِ الزَّيْنَةُ الْعَاجِلَةُ إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ، يَلْهُو بِهَا الْغَافِلُونَ، وَيَزْهَدُ فِيهَا الْعَارِفُونَ⁽⁴⁾.

❁ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

سِرُّ فَضْلِ هَذِهِ الآيَةِ عَمَّا قَبْلَهَا:

فُصِّلَتْ هَذِهِ الآيَةُ عَمَّا قَبْلَهَا؛ لِأَنَّ السَّابِقَةَ سَبَبٌ لِهَذِهِ، فَإِنَّهُ لَمَّا ذَكَرَ سُبْحَانَهُ فِي الآيَةِ السَّابِقَةِ حَالَ الْفَرِيقَيْنِ: الْأَشْقِيَاءِ وَالسُّعْدَاءِ، وَتَقَرَّرَ بِذَلِكَ أَمْرُ الآخِرَةِ، إِمَّا بِإِكْرَامٍ أَوْ هَوَانٍ، وَكَانَ سَبَبُ الْهَوَانِ

التَّنبِيهُ إِلَى
زَوَالِ الدُّنْيَا
وُخْدَاعِ لَهْوِهَا،
وَالتَّذْكِيرُ بِأَحْوَالِ
الْآخِرَةِ مِنْ
الْعَذَابِ وَالْمَغْفِرَةِ
وَالرِّضْوَانِ

مِنْ بَيَانِ الْآخِرَةِ
إِلَى تَحْذِيرٍ مِنَ
الْإِغْتِرَابِ بِالدُّنْيَا

(1) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، للفردات: (حطم).

(2) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (حطم).

(3) للتأريدي، تأويلات أهل السنة: 672 / 8.

(4) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 416 / 22 - 417.

فيها هو الإقبال على الدنيا لقربها وحضورها، ونسيان الآخرة لغيبها وتأخرها؛ أعقب ذلك باستنتاج مما سلف، مبيناً به حقيقة ما يَرغب فيه المكلف، بما رُكّب فيه من شهوة تدعوهُ إلى العاجلة⁽¹⁾.

دلالة تَصْدِير الآية بصيغة الأمر ﴿اعْلَمُوا﴾:

في تصدير الآية بالفعل ﴿اعْلَمُوا﴾ تنبيهٌ بليغ يوقظ القلوب والعقول؛ إذاناً بأنَّ ما سيُلقي بعدها ليس كلاماً عابراً، بل هو من الأهميّة بمكان، ويستوجب توجّه الذّهن بكلّ شعْبِه وجوارحه إليه⁽²⁾، وهو بيانُ حقارة الدنيا، وسَفَسَاف أمرِها؛ إذ لا تعدو كونُها لهوّاً عابراً، ولعباً زائلاً، وزينة خدّاعة، تُلهي عن الآخرة، وتفتنّ العقول عن المصير الحقّ.

سِرُّ التّعبيرِ بالعلمِ دون غيره في قوله: ﴿اعْلَمُوا﴾:

عُبرَ بفعل العلم في قوله: ﴿اعْلَمُوا﴾ دون غيره من أساليب التّنبية؛ لأنَّ المقامَ مقامٌ وعظٌ وتبصيرٌ لوضاعة أمرِ الدنيا، وهوانِ شأنِها⁽³⁾، يحتاج إلى إيقاظِ العقول لا مجرد السّمع؛ لما يتضمّن من دعوة إلى التّحقّق والتّيقّن، لا الاكتفاء بالظنّ أو الانفعال.

دلالة ضمير الجمع في قوله: ﴿اعْلَمُوا﴾:

ضمير الجَمْع - الواو - في قوله تعالى: ﴿اعْلَمُوا﴾ دالٌّ على الاستغراق والشُّمول، فهو جامع لكلِّ مَنْ يتوجّه إليه الخطاب دون استثناء، فمؤمنهم يزدادُ بصيرةً، ومناقضهم يُكشَفُ له زيفُ تعلُّقه بالدُّنيا، وكافرهم يُقرَّع بما اغترّ به، فهو خطابٌ يُحيط بالجميع⁽⁴⁾.

بلادة القصر في مستهلّ الآية:

في قوله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ﴾ أسلوبُ

إيقاظُ البصائر
لحقارة الدُّنيا
وخداعِ مظهرها

وعظٌ يبيّن زيفَ
الدُّنيا وضعفَ
منزلتها

خطاب ربّانيٍّ
يعمُّ أهلَ
الإيمان وأربابَ
الكفرِ وساكني
دركِ النِّفاق
والهوانِ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 286 / 19 - 287.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 393 / 27.

(3) ابن عطية، المحرر الوجيز: 266 / 5.

(4) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 773 / 14.

زخارفُ تَغُرُّ،
ومالٌ يَمُرُّ، فما
هي إلا لِعِبِّ
ولَهُوَ وتفاخُرٍ
وكدُرٍ

حقيقة الدنيا:
بهجةٌ خادعةٌ
ومظاهرٌ زائلةٌ

دناءة الدنيا
في لفظها
ومعناها، فهو
وصف يكشف
حقارتها وزيف
متاعها

الدنيا الدانية
قُربٌ في اليَدِ
وخسرانٌ في المالِ

قصر، دَلَّت عليه (إنما)، وهذا القصرُ يكْمُنُ في حصر الحياة الدنيا في هذه الأوصاف الدنيئة، وهو قصر ادِّعائي يراد به التَّهوين والتَّقليل، لا نفْيُ سائر الأحوال؛ لأنَّ الحياةَ تشتملُ على أنواعٍ شتى مِنَ الأفعال، فكان القصرُ توبيخًا للغافلين، وبيانًا لخسارة مَنْ شَغَلَ عَمْرُهُ باللَّهو الخادع عن الغاية الباقية⁽¹⁾.

دلالة الجملة الاسمية: ﴿الْحَيَوةُ الدُّنْيَا لِعِبِّ وَلَهُوَ وَزِينَةٌ﴾:

الجملة الاسمية في قوله: ﴿الْحَيَوةُ الدُّنْيَا لِعِبِّ وَلَهُوَ وَزِينَةٌ﴾ فيها تشبيه الحياة باللعب، يفرح بها الإنسان كما يفرح الطفل بلعبه، ثُمَّ لا تلبث أن تزول، كما تزول لعبه وزينته، وكلُّ ما يَـخـاخر به النَّاسُ، ويُباهونَ من مالٍ وولد⁽²⁾، فهي بهجةٌ وقتيةٌ تَغُرُّ، وتخدع، ثُمَّ تَنقُضي، وتُنسى.

دلالة وصف الحياة بالدنيا في الآية:

وصف الحياة بـ ﴿الدُّنْيَا﴾ في قول الله تعالى: ﴿الْحَيَوةُ الدُّنْيَا﴾، يحمل دلالةً بلاغيةً عميقةً؛ إذ اختير لها هذا الوصف لا لتمييزها زماناً فحسب بكونها في هذه الدار⁽³⁾، بل لبيان دناءتها وحقارتها، فهي سُفلى في المرتبة، وضيعةٌ في القيمة، لا تَزِنُ عند الله تعالى جناح بعوضة⁽⁴⁾، وكلُّ ما فيها من زينةٍ ولهُوَ ومَتاعٍ، إنما هو عَرَضٌ زائلٌ.

ويَحْتَمِلُ في وصف الحياة بـ ﴿الدُّنْيَا﴾ أنَّها من الدُّنُو، أي: القُرب؛ لكونها أقرب إلى الإنسان ما دام حيًّا؛ إذ هي الحاضرة المشهودَّة، في تناول يده وبصره⁽⁵⁾، بخلاف الآخرة التي هي غيبٌ مؤجَّل.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 193 / 7 - 194.

(2) النحاس، إعراب القرآن: 241 / 4.

(3) الواحدي، التفسير الوسيط: 252 / 4.

(4) الدَّزَّة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: 516 / 9.

(5) الدَّزَّة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: 517 / 9.

دلالة (أل) في لفظ «الْحَيَوَةُ»:

(أل) في «الْحَيَوَةُ» للعهد العلمي، أي: الحياة المعهودة التي يحياها كلُّ أحد، والمعلومة عند النَّاسِ، الموصوفة بالدُّنيا، أي: القريبة والأولى، وقد أُطلقَ عليها كذلك إمَّا على أحوالها وتقلُّباتها، وإمَّا على مُدَّتِها وأزمانها المحدودة⁽¹⁾.

سِرُّ التعبير بـ «الْحَيَوَةُ الدُّنْيَا» دون الاكتفاء بـ «الدُّنْيَا»:

سِرُّ التعبير بـ «الْحَيَوَةُ الدُّنْيَا» دون الاختصار على «الدُّنْيَا» في بعض الآيات؛ لأنها تدلُّ على استمرار الوجود، وتجدد الأحوال، فهي وصِفٌ يشملُ الحاضرَ بكلِّ أحواله المتقلِّبة⁽²⁾.

ويجوز أن يكون المرادُ بـ «الْحَيَوَةُ» مدَّةَ الحياة التي يقضيها الإنسانُ في هذه الدَّارِ الفانيَّة، فهي حياةٌ تَمُدُّ، أو تُدَمُّ بحسب ما يُستَمرُّ فيها، فَمَنْ صَرَفَهَا في طاعةِ اللَّهِ تعالى؛ كانت حياتُهُ خيرًا وبركة، وَمَنْ قضاها في الغفلةِ واللَّهو؛ فقد أضاعها فيما لا ينفع، فاستَحَقَّتْ الدَّمَّ والتَّحْقِيرَ⁽³⁾.

بلدعةُ المجازِ بالحدفِ في قوله: «أَنَّمَا الْحَيَوَةُ الدُّنْيَا»:

في قول الله تعالى: «أَنَّمَا الْحَيَوَةُ الدُّنْيَا» مجازٌ بالحدفِ؛ إذ قدَّرَ فيه ما يدلُّ عليه السِّياق، كأنَّه قيل: اعلَمُوا أَنَّ مَثَلَ الحياةِ الدُّنيا وزينتها وتفاخُرِها وتكاثُرِها ولعِبِها ولَهْوِها، أي: يتزَيَّن النَّاسُ بها، ويتفاخرون بالأموال والأولاد، ويتلهَّون بها، ويلعبون⁽⁴⁾، وفيه إيماؤٌ إلى أنَّ هذه الأمورَ صارت كأنَّها هي الحياةُ نَفْسُها، مِن قَرطِ استغراقِ النَّاسِ فيها. ويجوز أن يكونَ قوله: «الْحَيَوَةُ الدُّنْيَا» مجازًا مرسلًا عن أمورِ الدُّنيا وشؤونِها بعلاقةِ اللُّزوم⁽⁵⁾.

الحياة المعهودة
التي يحياها
الجميع
والمعروفة لدى
كلِّ قريبٍ وبعيدٍ

وَصِفُ الحاضرِ
المتقلِّبِ لا الزَّمانِ
المجرَّد

مدَّةُ الحياة بينَ
الطَّاعةِ التي
تَرْفَعُ، واللَّهو
الذي يَضَعُ

مثل الحياة
الدُّنيا في
حقيقتها تزئِن
ولعبٍ وتباهٍ زائلٍ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 7/ 193.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 287.

(3) الخازن، لباب التأويل: 4/ 250.

(4) اللاتريدي، تأويلات أهل السنة: 9/ 527.

(5) إسماعيل حقِّي، روح البيان: 9/ 369.

دلالة التعبير بلفظ اللعب مُتَكَرِّرًا:

استعمل لفظ ﴿لَعِبَ﴾ نكرة؛ للدلالة على الكثرة والتنوع والعموم، فاللعب هو كل قول أو فعل يُراد به المزاح والهزل لتمضية الوقت، أو إزالة وحشة الوحدة، أو دفع السكون، ويشمل اللعب إعمال الأعضاء وتحريكها لسد وحشة السكون، والهذيان المقصود لدفع وحشة السكوت، ويتضمن العبث والمزاح، كالتودد إلى المرأة، أو التلطف مع الطفل⁽¹⁾.

سرّ التعبير بالاسم ﴿لَعِبَ﴾ دون الفعل:

عُبر بالاسم في قوله: ﴿لَعِبَ﴾ دون الفعل؛ لأن الاسم يدل على الثبات والاستمرار، فجمع بين دلالة الثبات في الصياغة، وبين التحقير في المضمون؛ للدلالة على مُبالغة في وصف تفاهة الدنيا، وقصر مدتها؛ إذا ما قورنت بالأخرى الباقية⁽²⁾.

دلالة عطف اللّهُو على اللّعب:

عُطف اللّهُو على اللّعب في قول الله تعالى: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾؛ للدلالة على أن كلا منهما يصور جانباً من غرور الدنيا، فاللعب ما يرغب النفس فيها بما فيها من مُتعة وزينة ولذة عابرة، وأمّا اللّهُو؛ فهو ما يُشغل القلب، ويصرفه عن الآخرة وواجباتها⁽³⁾.

سرّ تقديم اللّعب على اللّهُو هنا، وتأخيرهِ في بعض المواطن:

لما كان السياق سياق خسارة وندامة في قوله تعالى: ﴿الْحَيَوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾؛ بُدئ باللّعب، وقُدّم في الذّكر؛ إذ هو أكثر ما يورث الخسارة؛ لما فيه من إشباع للهوى، وإرضاء للنفس على وجه غير مشروع، ثمّ ذُكر اللّهُو متأخراً، وهو ما يُعجب النفس، ويفتنها

اللّعب في معناه
الواسع كثير
ومتنوع في حياة
الإنسان

بيان حقارة
الدنيا وقصرها
مقارنة بالآخرة

اللّعب ترغيب في
الدنيا، واللّهُو
تشثيت عن
الآخرة

تصوير لتدريج
الغافلين في
لهو الدنيا، من
العَبَث الظاهر
إلى الافتتان
الباطن

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 401/ 27.

(2) رضا، تفسير القرآن الحكيم: 307/ 7.

(3) اللاوردي، النكت والعيون: 480/ 5.

من زخرف القول والغناء والزينة، فهو سبب للغفلة وصرف عن الطاعة، فجاء تأخيرُهُ دلالةً على أنَّ الجهال كلما كُت نفوسهم من اللعب؛ بعثوا الشهوات بالملاهي⁽¹⁾.

وقدَّم اللعبُ على اللهو في هذا الموضع أيضاً؛ لأنَّ اللعب يُعبر عن لهو الطفولة المبكر، واللهو عن شهوات الشباب اللاحقة، فكان الترتيب تبعاً لتسلسل مراحل العمر، بينما في سورتي الأعراف والعنكبوت قدَّم اللهو؛ لأنه أظهر أثرًا، وأشدُّ فتنةً في سياق زوال الدنيا، أو مشهد الآخرة، فجاء الترتيب باعتبار المال لا الابتداء⁽²⁾.

سِرُّ التعبير بـ ﴿وَلَهُوٌ﴾ مُنْكَزًا:

جاء لفظ ﴿وَلَهُوٌ﴾ نكرةً لتوسيع الدلالة، واستيعاب ضروب اللهو، وتنوع مظاهره، فهو يشمل كلَّ ما يشغل عن الحق، ويُلهي عن الغاية، وكلَّ ما أريد به غير وجه الله تعالى، واللهو يشمل الأكل والشرب، وقيل: اللهو هو النساء⁽³⁾، وكلُّ ذلك من مظاهر الانصراف عن الجدِّ، والانغماس في زينة زائلة لا تثمر صلاحًا ولا تقربًا.

سِرُّ عطف الزينة على اللهو في قوله: ﴿لَعِبٌ وَلَهُوٌ وَزِينَةٌ﴾:

عُطفَت الزينة على اللهو⁽⁴⁾؛ لأنَّ التزيين يكثر في طور الفتوة، حين يبدأ الشاب يستشعر أفول نضارة الصبا، فتراه يتعلّق بمظاهر التَّجَمُّل؛ لطيل وهج الشباب، وتزداد المرأة التي كانت غانية حرصًا على الزينة، لا لأنها تتعرّض بها للرجال، كما يتوهمه الرجال فيهنَّ غرورًا بأنفسهم، بل لتبدؤ في عيون الناس - رجالًا ونساءً - بهيئة في الحُسْن، كاملة المظهر، وكأنَّها تقاوم بطيف الزينة غروب الأنوثة⁽⁵⁾.

اللَّعِبُ أَوَّلُ
الْفِتْنَةِ، وَاللَّهُوُ
آخِرُ الْغَفْلَةِ فِي
تَرْتِيبِ الْمَعْنَى بَيْنَ
الْبَدءِ إِلَى النِّتْهِى

تَعَدُّدُ وُجُوهِ
الصَّرْفِ عَنِ
الْحَقِّ بِتَنْوُوعِ
الْمُلْهِياتِ

حِينَ يُجَمِّلُ
الْفَتَى فِتْوَتَهُ،
وَتُجَاهِدُ لِلرَّأَةِ
انْطِفَاءُ أَنْوَتِهَا

(1) البقاعي، نظم الدرر: 92 / 7 - 93.

(2) النيسابوري، غرائب التفسير: 365 / 1 - 366.

(3) السمعي، تفسير القرآن: 374 / 5.

(4) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 774 / 14.

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 402 / 27.

دلالة استعمال لفظ ﴿وَزِينَةٌ﴾ نكرة، وإيثارها على لفظ (زخرف):

استعمل لفظ ﴿وَزِينَةٌ﴾ نكرة لدالاتها على أشياء كثيرة، "من الملابس والمراكب والمنازل الحسنة"⁽¹⁾، واستعمال هذا اللفظ بعينه دون غيره من مثل (الزُخرف)؛ لأن الزينة أوسع دلالة؛ إذ تشمل ما هو مادي ومعنوي، ذاتي وظاهري، بخلاف الزُخرف الذي يختص بالمظهر الخادع، لا الجوهر النافع، فالزينة قد تكون في اللباس أو المسكن أو الهيئة، وقد تكون في المعنى والسلوك، كما في مكارم الأخلاق، وما يُعرف في أصول الفقه بالتحسينيات⁽²⁾.

سر التعبير بالتفاخر دون (الإعجاب) في قوله: ﴿وَتَفَاخُرٌ﴾:

آثر البيان القرآني التعبير بالتفاخر دون الإعجاب، في قول الله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾؛ لما في التفاخر من دلالة على التباهي وادعاء الفضل وإظهار المزية، بخلاف الإعجاب فلا يكون مذموماً في جميع صورته، ثم إن الإعجاب عمل قلبي قاصر على صاحبه، بخلاف التفاخر فإنه يظهر على المفاخر، فيتعدى أثره إلى غيره.

سر التعبير بـ ﴿وَتَفَاخُرٌ﴾ دون (فخر):

جاء التعبير بصيغة التفاعل في قوله تعالى: ﴿وَتَفَاخُرٌ﴾ بدلاً من (فخر)؛ لأن في صيغة التفاعل إيحاءً بالمشاركة والتبادل بين طرفين أو أكثر⁽³⁾، وهي من خصائص هذه الصيغة في لسان العرب، فالتفاخر لا يكون من طرف واحد، بل هو تباهاً متبادلاً، ومجالسة يتصاعد فيها ذكر المحاسن والمآثر على سبيل المنافسة أو المباهاة، أما الفخر؛ فهو مجرد إخبار الذات بمحاسنها، حقاً كانت أو باطلاً⁽⁴⁾.

جمع بين الحسي
والعنوي،
والنافع
والتحسيني،
في مقابل زُخرفٍ
يُبهر، ولا يُثري

الإعجاب عمل
قلبي، والتفاخر
مظهر خارجي

التفاخر تباهاً في
ادعاء الفضل،
لا مجرد الإخبار
بالمناقب

(1) إسماعيل حقّي، روح البيان: 9/ 370.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 27/ 402.

(3) الزمخشري، المفصل، ص: 371.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 27/ 402.

دلالة إتيان التَّفاخر بعد ذِكْرِ الزَّينة:

أَتَّبَعَتِ الزَّيْنَةُ بِالتَّفَاخِرِ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ لبيان ثَمَرَتِهَا⁽¹⁾؛ إذ كثيراً ما تُقْضِي الزَّيْنَةُ إِلَى التَّبَاهِي، فَالتَّفَاخِرُ نَتِيجَةُ طَبِيعِيَّةٍ لَتَعْلُقُ الْقَلْبَ بِمُظَاهِرِ التَّجَمُّلِ، وَطَلَبِ الْعُلُوبِ بِهَا عَلَى الْآخَرِينَ.

التَّفاخر ثمرة
الزَّينة؛ إذا فَقِدَ
المقصد، وتعلَّق
القلب بالمظهر

دلالة ذِكْرِ التَّفَاخِرِ بعد ذِكْرِ اللَّعْبِ وَاللَّهْوِ:

ذِكْرُ التَّفَاخُرِ بَعْدَ اللَّعْبِ وَاللَّهْوِ؛ لِأَنَّ التَّفَاخُرَ يَغْلِبُ فِي طَوْرِ الْكُهُولَةِ وَاكْتِمَالِ الْأَشَدِّ، فَهُوَ زَمَنُ الْإِقْبَالِ عَلَى الْأَفْعَالِ الَّتِي يُرَادُ بِهَا تَحْصِيلُ الْمَجْدِ وَالْفَخْرِ وَادِّعَاءِ الْمَكَانَةِ⁽²⁾، بَعْدَ أَنْ كَانَ الطَّوْرُ السَّابِقُ مَشْغُولًا بِاللَّهْوِ وَاللَّعْبِ، فَكَأَنَّ الْآيَةَ تَرَسَّمُ تَدْرُجَ الْإِنْسَانِ فِي أَطْوَارِ عُمُرِهِ.

عَلَبَةُ التَّفَاخُرِ فِي
طَوْرِ الْكُهُولَةِ،
فَهُوَ زَهُوُ الْأَشَدِّ
وَسَعْيُ لِلتَّجْدِ
الظاهر

بِلَاغَةُ التَّعْبِيرِ بِقَوْلِهِ: ﴿بَيْنَكُمْ﴾:

اسْتَعْمَلَ لَفْظُ ﴿بَيْنَكُمْ﴾ فِي قَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾، مَعَ أَنَّ التَّفَاخِرَ صِغَةُ تَقْتَضِي وَقُوعَ الْفِعْلِ بَيْنَ طَرَفَيْنِ أَوْ أَكْثَرٍ؛ لِيُفِيدَ خُصُوصِيَّةَ هَذَا التَّفَاخِرِ، وَانْحِصَارَهُ فِي دَائِرَةِ أَهْلِ الدُّنْيَا وَأَرْبَابِ الشَّهَوَاتِ⁽³⁾.

خَصُرَ التَّفَاخِرِ فِي
دَائِرَةِ الشَّهَوَاتِ
والمباهين

دلالة استعمال التَّكَاثُرِ دُونَ الْكَثْرَةِ:

اخْتِيرَتِ صِغَةُ التَّكَاثُرِ دُونَ الْكَثْرَةِ؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْمُبَالَغَةِ وَالْمُغَالَبَةِ؛ إِذْ صِغَةُ (التَّفَاعُلِ) تُفِيدُ أَنَّ كُلَّ طَرَفٍ لَا يَرْضَى أَنْ يَكُونَ الْأَقْلَّ، بَلْ يُسَابِقُ غَيْرَهُ؛ لِيَغْلِبَهُ فِي وَفَرَةِ الْمَالِ وَكَثْرَةِ الْأَوْلَادِ⁽⁴⁾، فَلَيْسَ الْمَقْصُودُ مَجْرَدَ حَصُولِ الْكَثْرَةِ، بَلِ التَّفَاخِرُ بِهَا، وَالتَّنَافُسُ عَلَيْهَا، حَتَّى تُصْبِحَ الْكَثْرَةُ نَفْسُهَا مِيدَانُ صِرَاعٍ وَمُفَاخَرَةٍ، يُلْهِي عَنِ الْغَايَةِ، وَيَحْبِسُ النَّفْسَ

المُبَالَغَةُ فِي
الاستيثارِ مِنْ
الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ
وَالْجِرْصِ عَلَيْهِمَا

(1) البقاعي، نظم الدرر: 287/19.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 403/27.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 287/19.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 403/27.

في دائرة التَّسَابُقِ على الدُّنْيَا الفَانِيَةِ، وفي هذه الصِّيغَةِ تصوِيرُ حالٍ أَشَدَّ إِيغَالًا فِي التَّعَلُّقِ بِالدُّنْيَا، فَهُوَ لَيْسَ مَجْرَدَ كَثْرَةٍ تُذَكَّرُ، وَلَا مَبَاهَاةٍ تُرَى، بَلْ تَكَالِبُ مَحْمُومٌ، وَاسْتِزَادَةٌ لَا تُشْبِعُ، فَالْمَعْنَى: أَنَّ بَعْضَكُمْ يُفَاخِرُ بَعْضًا بِكَثْرَةِ مَا يَمْلِكُ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ⁽¹⁾.

سُرُّ مَجِيءِ اللَّعِبِ وَاللَّهْوِ وَالزَّيْنَةِ عَلَى غَيْرِ صِيغَةٍ (تَفَاعُلٍ)، بِخِلَافِ التَّفَاخُرِ وَالتَّكَاثُرِ:

جاء التَّعْبِيرُ عَنِ اللَّعِبِ وَاللَّهْوِ وَالزَّيْنَةِ بِصِيغِ خَالِيَةٍ مِنْ إِفَادَةِ الْمَشَارَكَةِ؛ لِأَنَّهَا أَفْعَالٌ يُمَكِّنُ أَنْ تَقَعَ مِنَ الْفَرْدِ وَحْدَهُ، يَتَفَكَّهُ بِهَا، وَيَسْتَمْتِعُ، وَيُعْرِقُ فِي زَخَارِفِهَا دُونَ حَاجَةٍ إِلَى طَرَفٍ آخَرَ، أَمَّا التَّفَاخُرُ وَالتَّكَاثُرُ؛ فَجَاءَا بِصِيغَةِ التَّفَاعُلِ؛ لِأَنَّهُمَا لَا يَتَحَقَّقَانِ إِلَّا بَيْنَ اثْنَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ، يَتَبَاهَى كُلُّ طَرَفٍ عَلَى الْآخَرِ، وَيَتَنَافَسُ مَعَهُ فِي الْمَالِ وَالْوَلَدِ وَالْمَكَانَةِ.

بِدَاعَةُ الْبَدْءِ بِاللَّعِبِ وَالْإِنْتِهَاءِ بِالتَّكَاثُرِ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ:

بَدِئَ بِذِكْرِ اللَّعِبِ، وَخَتِمَ بِالتَّكَاثُرِ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ فِي تَرْتِيبٍ مُحْكَمٍ يُجَارِي أَطْوَارَ الْإِنْسَانِ فِي حَيَاتِهِ؛ فَتَبْدَأُ بِاللَّعِبِ، وَتَنْتَهِي بِالتَّكَاثُرِ فِي مَسَارِ يَرْسُمُ حَيَاةَ الْإِنْسَانِ مِنَ الْمَهْدِ إِلَى الْأَرْبَعِينَ؛ إِذْ تَتَوَالَى أَحْوَالُهُ فِي دَوْرَاتٍ مِنْ ثَمَانِي سِنِينَ، فَاللَّعِبُ زِينَةُ الطُّفُولَةِ، وَاللَّهْوُ لَهْفَةُ الْفُتُوَّةِ، وَالزَّيْنَةُ عُنْوَانُ مَرَحَلَةِ التَّجَمُّلِ وَالْإِعْتِدَادِ، وَالتَّفَاخُرُ سِمَةٌ عُنْفَوَانِ الشَّبَابِ وَشَرَارَاتِ الْأُنَانِيَّةِ، ثُمَّ يَأْتِي التَّكَاثُرُ ذُرْوَةُ التَّعَلُّقِ بِالدُّنْيَا، وَالْإِنْغِمَاسِ فِي مَغَانِمِهَا وَمَفَاتِيحِهَا، فَإِنْ تَبَّهَ الْمَرْءُ عِنْدَ الْأَرْبَعِينَ - إِذْ يَكْتَمِلُ نُضْجُهُ الْعَقْلِيُّ، وَيَتَفَكَّرُ فِي الْمَصِيرِ - كَانَ ذَلِكَ بَدَايَةَ فَلَاحِهِ، وَزَمَنَ تَزَوُّدِهِ لِمَعَادِهِ، وَإِلَّا خَسِرَ خَسِرَانًا لَا يُجْبَرُ، وَضَلَّ عَنِ الْغَايَةِ ضَلَالًا لَا يُرَدُّ⁽²⁾.

اللَّعِبُ وَأَضْرَابُهُ
قَدْ يَكُونُ عَمَادًا
فَرْدِيًّا، وَالتَّفَاخُرُ
وَالْتَّكَاثُرُ
يَقْتَضِيَانِ
الْمَشَارَكَةَ

مِنْ عِبَثِ
الطُّفُولَةِ إِلَى
تَكَاثُرِ النِّهَايَةِ
وَفَنَاءِ الْغَايَةِ

(1) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 23/ 193.

(2) أبو حفص النسفي، التيسير في التفسير: 303/ 14.

سرّ تخصيص المذكورات الخمسة بالذكر:

خُصَّتْ المذكورات الخمس دون غيرها في قوله تعالى: ﴿لَعِبُّ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾؛ لأنها تمثل خلاصة ما تشغل به النفوس في دُنْيَاهَا، وهي أصول الانصراف عن المقاصد العالية، والتلبُّس بما يُلهي، ويُغوي، وهذا الترتيب لمفاتن الدُّنيا من اللُّب وسوَاهُ يَكْشِفُ عَنْ تَفَاوُتِ هَذِهِ الْمَظَاهِرِ فِي أَثَرِهَا، وَيَفْضَحُ مَرَاتِبَ الْعَقْلَةِ، فَبَدَأَ بِاللُّب؛ لَأَنَّهُ أَشَدُّهَا ضَرَرًا؛ إِذْ يَسْتَهْلِكُ الْجَسَدَ وَالْعَقْلَ فِيمَا لَا طَائِلَ تَحْتَهُ، ثُمَّ اللَّهُو، وَهُوَ أَهْوَنُ مِنْهُ، لَكِنَّهُ يُلْهِى الْقَلْبَ وَالْوَجْدَانَ، ثُمَّ الزَّيْنَةُ، وَهِيَ وَسْطُ بَيْنِ اللَّهُو وَالتَّفَاخُرِ⁽¹⁾؛ لَأَنَّهُا تَشْغَلُ الظَّاهِرَ دُونَ الْبَاطِنِ، فَجَاءَ التَّدْرُجُ مِنَ اللَّهُو الْفَرْدِيِّ إِلَى الْعِلَالِ الْجَمَاعِيَّةِ.

بلغة التعبير بالظرفية ﴿فِي﴾ مع الأموال والأولاد:

جاء التعبير بحرفِ الظرفية ﴿فِي﴾ في قوله تعالى: ﴿وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾؛ تصويرًا بديعًا لحالِ الإنسان مع مظاهر الثراء والنَّسْلِ، فَهِيَ لَيْسَتْ أَشْيَاءَ يَتَكَاثَرُ بِهَا، بَلْ هِيَ الْأَوْعِيَةُ الَّتِي غَاصَ فِيهَا، وَالْمَجَالَاتُ الَّتِي انْغَمَسَ فِي طَلَبِهَا، حَتَّى غَدَا كَمَنْ يَنْزِعُ فِي بئرٍ لَا يَخْرُجُ مِنْهَا، بَلْ يَغُورُ فِيهَا، فَكَانَتْ ظَرْفِيَّةً مُجَازِيَّةً تُجَسِّدُ التَّعْلُقَ وَالانْغِمَاسَ، أَوْ تَعْلِيلِيَّةً تُفْصَحُ عَنْ بَاعِثِ التَّكَاثُرِ وَدَافِعِهِ⁽²⁾، فَكَأَنَّ الْأَمْوَالَ وَالْأَوْلَادَ أَصْبَحَتْ وَعَاءً يُعْتَرَفُ مِنْهُ بِلا ارتواءٍ، فَلَيْسَتْ الْمَسْأَلَةُ مُجَرَّدَ زِيَادَةٍ، بَلْ هِيَ غَوْصٌ فِي بَحْرٍ لَا سَاحِلَ لَهُ.

سرّ عدم ذكر محل التفاهر كما ذكر مع التكاثر:

لَمْ يُذَكَّرْ مَحَلُّ التَّفَاخُرِ، كَمَا ذُكِرَ مَعَ التَّكَاثُرِ؛ لِأَنَّ التَّفَاخُرَ أَوْسَعَ مَجَالًا مِنَ التَّكَاثُرِ، فَقَدْ يَقَعُ التَّفَاخُرُ بَيْنَ مَنْ لَهُ مَالٌ وَوَلَدٌ مَعَ مَنْ لَا مَالَ لَهُ وَلَا وَلَدَ، فَيَتَبَاهَى عَلَيْهِ بِمَا عِنْدَهُ، فَهُوَ لَا يَقْتَصِرُ عَلَى الْمَالِ

مِنَ اللَّعِبِ إِلَى
التَّكَاثُرِ كَشَفَ
لَوْهُمْ الْحَيَاةَ

ظَرْفِيَّةُ التَّكَاثُرِ
وَالانْغِمَاسِ أَمْ
عَلَّةُ الْإِلْتِحَامِ
وَدَافِعُ التَّفَاخُرِ

الْمَفَاخِرَةُ أَوْسَعُ
مِيدَانًا، فَتَقَعُ
بَيْنَ مَنْ يَمْلِكُ
وَمَنْ لَا يَمْلِكُ،
وَالتَّكَاثُرُ لَا يَكُونُ
إِلَّا بَيْنَ الْأَنْدَادِ

(1) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 14 / 775.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 27 / 403.

والولد، بل يشمل الصفات الفانية الزائلة، كتفاخر باللقب والنسب، أو تفاخر بالقوة والقدرة والصورة، أما التكاثر؛ فلا يكون إلا بين من يملك المال والولد مع من يملك مثله⁽¹⁾، فيسابقه طلباً للغلبة في العدد.

سِرُّ التَّعْبِيرِ بِالْأَمْوَالِ جَمْعًا:

نافذة على شهوة
التكاثر وزيف
الغنى

استعمل لفظ ﴿الْأَمْوَالِ﴾ بصيغة الجمع؛ لتصوير غلبة التكاثر والازدياد في ما يملكه الإنسان من أموال، فتتعدد الأموال، وتتنوع ولا تقف عند مقدار محدود، بل هي في اتساع دائم لا ينضب، دالة على شهوة التكاثر، والتمسك بالماديات التي تأسر القلوب، وتلهي الأفهام.

دلالة التعريف بـ (أل) في ﴿الْأَمْوَالِ﴾ دون الإضافة (أموالكم):

أموال ملوثة
مكتسبة من
غير حل؛ مباحة
وتطاولاً على
أولياء الله تعالى

عرّف لفظ ﴿الْأَمْوَالِ﴾ بـ (أل) دون التعريف بالإضافة (أموالكم)؛ لتبين أن هذه الأموال ليست أموالهم التي اكتسبوها بالحلال، بل هي أموال مباحة ملوثة بجمع ما لا يحل لهم، فيتطاول بها مع الخدم والذرية على أولياء الله تعالى وأهل طاعته⁽²⁾.

سِرُّ عَطْفِ (الأولاد) على ﴿الْأَمْوَالِ﴾، ودلالة الجمع بينهما:

موروث التفاخر
والتكاثر الجاهلي
بين المال والولد

عُطِفَ (الأولاد) على ﴿الْأَمْوَالِ﴾ في قول الله تعالى: ﴿وَتَكَاتُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾، مع الجمع بينهما؛ لأنه تصويرٌ بليغٌ لموروث الجاهلية، حين كانت العزة تقاس بكثرة المال، ووفرة البنين⁽³⁾، فكأنه يعرض مرآة النفس الدنيوية التي لا ترى الفخر إلا في عددٍ وعدة، لا في تقوى ولا فضيلة.

دلالة التعبير بـ ﴿وَالْأَوْلَادِ﴾ جمعًا:

الأولاد يشمل
الذكور والإناث

جاء التعبير بالأولاد جمعًا في قول الله تعالى: ﴿وَتَكَاتُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾؛ ليناسب معنى التكاثر؛ إذ لا يتحقق التكاثر إلا بزيادة العدد.

(1) السمعاني، تفسير القرآن: 5 / 374.

(2) الخازن، لباب التأويل: 4 / 250.

(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 17 / 255.

دلالة تقديم ﴿الْأَمْوَالِ﴾ على ﴿الْأَوْلَادِ﴾:

قَدْ دَمَ ذِكْرُ ﴿الْأَمْوَالِ﴾ عَلَى (الْأَوْلَادِ)؛ لَأَنَّ الْأَمْوَالَ أَعَمُّ وَأَشْمَلُ،
فَهِىَ حَاضِرَةٌ فِي يَدِ كُلِّ أَحَدٍ، قَلَّتِ الْأَمْوَالُ، أَوْ كَثُرَتْ، أَمَّا الْأَوْلَادُ؛
فَكثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، لَا يُرْزَقُونَ بِهِمْ⁽¹⁾، فَجَاءَ التَّجْدِيدُ مُرَاعِيًا لَوَاقِعِ
الْغَلْبَةِ فِي الوجود، وَمَجَسَّدًا لِطَبِيعَةِ التَّكَاثُرِ فِي الْمَادَّةِ قَبْلَ النَّسْلِ.

مُراعاةً عُمومِها
وَشُمولِها لِكُلِّ
فَزِدْ بِخِلَافِ
الأولادِ

سِرُّ اختِصاصِ سورة الحديد بهذه المذكوراتِ الخَمْسَةِ:

اخْتَصَّتْ سورة الحديد بِذِكْرِ هَذِهِ الْمَذْكُورَاتِ الْخَمْسَةِ، عَلَى
خِلَافِ مَوَاضِعَ أُخَرَ الَّتِي اقْتَصَرَ فِيهَا عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَاللَّعِبِ؛ لِأَنَّهَا
تَمَثَّلُ أَبْعَادَ الْفِتْنَةِ الدُّنْيَوِيَّةِ بِكُلِّ وَجْهِهَا، وَتُجَسَّدُ مَدَارِجُ الْإِغْتِرَارِ
بِحُطَامِهَا، فَهِىَ دَوَائِرُ الْمِحْنَةِ الَّتِي يَدُورُ فِيهَا أَهْلُ الْغَفْلَةِ، وَمَهَاوِي
الدَّاءِ لِمَنْ أَشْرَبَ قَلْبُهُ حُبَّ الدُّنْيَا، وَصَرَعَتْهُ زِينَتُهَا، وَقَدْ انْتَضَمَتْ فِي
هَذِهِ الْآيَةِ عَلَى نَحْوِ مُتَدَرِّجٍ مِنَ اللَّعِبِ الْبَاطِنِ، إِلَى اللَّهِوِ الْمَجْلُوبِ،
ثُمَّ الزَّيْنَةِ الظَّاهِرَةِ، فَالْتَّفَاخِرِ الْمَبْنِيِّ عَلَى الْمَظَاهِرِ، ثُمَّ التَّكَاثُرِ
بِالْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ الَّتِي يُفْضِي إِلَى التَّنَافُسِ الْمَحْمُومِ⁽²⁾.

دَوَائِرُ الْفِتْنَةِ
الْخَمْسِ فِي
الدُّنْيَا هِيَ مَدَارِجُ
الْإِغْتِرَارِ وَمَهَاوِي
السَّقُوطِ

سِرُّ فَضْلِ جُمْلَةٍ ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ﴾ عَمَّا قَبْلَهَا:

فُصِّلَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ﴾ عَمَّا قَبْلَهُ؛ لِأَنَّ الْجُمْلَةَ
مُسْتَأْنَفَةً اسْتِثْنَاءً ابْتِدَائِيًّا، فَمَثَلُ الْحَيَاةِ كَمَثَلِ ذَلِكَ الْغَيْثِ الَّذِي
يُعْجِبُ الْكَفَّارَ نَبَاتُهُ⁽³⁾، وَفِيهَا تَجَسِيدٌ لِحَالِ الْإِغْتِرَارِ الرَّائِفِ بِبَهْرَجِ
الْحَيَاةِ وَزِينَتِهَا الْخَادِعَةِ.

اسْتِثْنَاءٌ دَالٌّ
عَلَى تَمَثُّلِ بَهْرَجِ
الْحَيَاةِ بِغَيْثٍ
يُعْجِبُ الْكَفَّارَ
نَبَاتُهُ

سِرُّ التَّعْبِيرِ بِالْكَافِ دُونَ الْاِكْتِفَاءِ بِالْمَثَلِ فِي قَوْلِهِ: ﴿كَمَثَلِ﴾:

جَاءَ التَّعْبِيرُ بِالْكَافِ فِي قَوْلِهِ: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ﴾، دُونَ الْاِكْتِفَاءِ
بِلَفْظِ (مَثَلٍ)؛ لِتُضْفِي الْكَافُ عَلَى صُورَةِ الْمَثَلِ طَابَعًا تَصَوِيرِيًّا حَيًّا،

(1) مُحَمَّدُ الْهَلَالِ، تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الثَّرَوِيِّ: 348 / 11.

(2) الْخَطِيبُ، التَّفْسِيرُ الْقُرْآنِيُّ لِلْقُرْآنِ: 775 / 14.

(3) الْإِبْجِي، جَامِعُ الْبَيَانِ: 266 / 4.

تصويرٌ مظاهر
الدُّنيا في صورةٍ
حسِّيَّةٍ ماثلةٍ
أمام العَيْنِ

تَجَسُّدُ
صورة الحياة
بكلِّ تقلُّباتِها
وتفاصيلها

نباتُ الغرورِ
ومآلُ الحُطامِ
في تصوُّر قرآنيٍّ
لزيْفِ الدُّنيا
وعاقبةِ الجُحودِ

العَيْثُ مشهدٌ
النَّشْأَةُ وموطُنُ
الاغترارِ ومَصْدَرُ
البهائِ

وكأنَّها تفتتَحُ مشهداً محسوساً أمام البَصَرِ، فالكافُ هنا في موضعِ رَفْعٍ مِنْ وَجْهَيْنِ؛ إمَّا على أنَّها صِفَةٌ لخبَرٍ محذوفٍ، أي: إِنَّ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وما فيها من لَعِبٍ وَلَهْوٍ وَزِينَةٍ وَتَفَاخُرٍ هي في حَقِيقَتِها كَالْعَيْثِ، أو على أنَّها خَبَرٌ بَعْدَ خَبَرٍ؛ تَكْرِيراً لِتَأْكِيدِ وَجْهِ الشَّبْهِ، فَالحَيَاةُ الدُّنْيَا مِثْلُ غَيْثٍ أَنْبَتَ نَبَاتًا أَعْجَبَ الْكَفَّارَ حُسْنُهُ وَزَهْوُهُ⁽¹⁾، ثُمَّ لَا يَلْبَثُ أَنْ يَذْبُلَ، وَيَصِيرَ حَطَامًا، كَمَا تَذْبُلُ بِهَارِجِ الدُّنْيَا، وَتَصْمَحِلُ مَعَ الْأَجْلِ.

سِرُّ التَّعْبِيرِ بِالمَثَلِ دُونَ الشَّبْهِ:

جاءَ التَّعْبِيرُ بلفظِ (مثل) دُونَ (شبه)؛ لِأَنَّ التَّمْثِيلَ هُنَا هُوَ النَّبَاتُ⁽²⁾، وَهُوَ أَدْقُ إِذْ لَا يَقْتَصِرُ عَلَى وَجْهِ وَاحِدٍ مِنَ المُشَابَهَةِ بِخِلَافِ لَفْظِ التَّشْبِيهِ، فَلَفْظُ التَّمْثِيلِ يُجَسِّدُ الصُّورَةَ بِجَمِيعِ تَفَاصِيلِهَا وَتَحَوُّلاتِهَا، وَكَأَنَّكَ تَرَاهَا رَأْيَ الْعَيْنِ، وَقَدْ جَاءَ المَثَلُ؛ لِيُصَوِّرَ تَقَلُّبَ الدُّنْيَا، وَزَوَالَ بَهْرَجِهَا تَصَوِيرًا وَاقِعِيًّا حَيًّا، لَا يَبْلُغُهُ التَّشْبِيهُ المُجَرَّدُ.

بِلَاغَةُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي تَشْبِيهِ هَيْئَةِ أَهْلِ الدُّنْيَا:

صَوَّرَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ هَيْئَةَ أَهْلِ الدُّنْيَا وَمآلَهُمْ فِي مَشْهَدٍ بَدِيعٍ، فَقَدْ شَبَّهَهُمْ بِنَبَاتٍ أَنْبَتَهُ الْغَيْثُ، فَاخْضَرَّ، وَأَعْجَبَ الْكَفَّارَ الْجَاهِلِينَ بِنُضَارَتِهِ، فَرَكَنُوا إِلَيْهِ اغْتِرَارًا بِبَهْرَجِهِ، فَجَاءَتِ الْعَاهَةُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُونَ، فَهَاجَ، وَاصْفَرَّ، وَتَحَوَّلَ حَطَامًا، فِي مَشْهَدٍ يَنْطِقُ بِتَقَلُّبِ الدُّنْيَا، وَسُرْعَةِ فَنَائِهَا، وَقَلَّةِ جَدْوَاهَا، وَجُعِلَ ذَلِكَ عِبْرَةً لِمَنْ غَفَلَ عَنِ شُكْرِ النِّعْمَةِ، كَمَا صُنِعَ بِأَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَصَاحِبِ الْجَنَّتَيْنِ⁽³⁾، حِينَ أَعْرَضُوا عَنِ شُكْرِ الْمُنْعَمِ، فَجُعِلَ نَعِيمُهُمْ هَبَاءً مَنثورًا.

بِلَاغَةُ بَدْءِ المُشَبَّهِ بِهِ بِالْغَيْثِ:

اِفْتَتَحَ التَّمْثِيلُ بِالْغَيْثِ دُونَ غَيْرِهِ مِنْ مَكُونَاتِ الصُّورَةِ؛ لِأَنَّ الْغَيْثَ مَبْدَأَ الْحَيَاةِ وَمَصْدَرُ النَّمَاءِ، وَفِي الْبَدءِ بِهِ اسْتِحْضَارُ لِمَشْهَدٍ يَنْبُضُ

(1) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه: 127/5.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 404/27.

(3) الزمخشري، الكشاف: 478/4 - 479.

بالبَهْجَةِ، تُبْصِرُ فِيهِ الْأَرْضُ الْمَوَاتُ، وَقَدْ انْبَعَثَتْ، وَالنَّبَاتُ وَقَدْ اهْتَزَّ، وَرَبًّا، فَاِبْتَدَأُوهُ بِالْغَيْثِ رَسَمَ الْهَيْئَةَ مِنْ مَبْدِئِهَا، وَأَبْرَزَ مَوَاقِعَ الْحُسْنِ فِي أَطْوَارِهَا؛ لِيُكْسِبَ الْمُشَبَّهَ بِهَاءٍ وَحُسْنًا يُغْيِي⁽¹⁾، وَيُهَيِّئُ الذَّهْنَ لَانْخِدَاعٍ مَقْصُودٍ بَزْخَرُفِهَا قَبْلَ انْكِشَافِ رَيفِهَا.

سِرُّ التَّعْبِيرِ بِالْغَيْثِ مِنْكَرًا:

جاءَ التَّعْبِيرُ بِالْغَيْثِ نَكْرَةً؛ لما في التَّنْكِيرِ مِنْ دَلَالَةٍ عَلَى عِظَمِ شَأْنِهِ، وَكَثْرَتِهِ وَبَرَكَتِهِ؛ إِذِ الْمُرَادُ كَوْنُهُ غَيْثًا عَظِيمًا يُغْيِي النَّاسَ بَعْدَ شِدَّةٍ حَلَّتْ بِهِمْ، وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا، كَمَا يُغْيِي الْكَلَأُ الْمَاشِيَةَ⁽²⁾، فَجاءَ التَّنْكِيرُ مُعْجَمًا بِالْإِيحَاءِ بِالْكَثْرَةِ وَالنَّفْعِ وَالْفَرَجِ.

سِرُّ التَّعْبِيرِ بِالْإِعْجَابِ مَادَّةً وَصِغَةً:

اِخْتِيرَ لَفْظُ الْإِعْجَابِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَأُهُ﴾؛ لما فِي مَادَّتِهِ وَصِغَتِهِ مِنْ دَلَالَةٍ عَلَى بُلُوغِ الْغَايَةِ فِي الْحُسْنِ؛ إِذِ الْإِعْجَابُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِمَا اسْتَوْفَى شُرُوطَ الْحُسْنِ فِي الْعَيْنِ وَالْقَلْبِ مَعًا، وَكَانَ صَدُورُهُ فِي الْآيَةِ مِنَ الزُّرَّاعِ الَّذِينَ هُمْ أَرْبَابُ الْخَبْرَةِ وَالْفُطْنَةِ دَالًّا عَلَى أَنَّ هَذَا النَّبَأُ قَدْ بَلَغَ مِنَ الْإِتْقَانِ مَبْلَغًا لَا يُخْطِئُهُ الْبَصَرُ الْخَبِيرُ، فَهُمْ مَهْوُوسُونَ بِعَاجِلِ الزُّخْرَفِ، مَأْخُذُونَ بِبَرِيقِهِ الْخَادِعِ، فَجاءَ الْإِعْجَابُ مِنْ جِهَتِهِمْ هَمًّا، لَا لِفَضْلِ فِي النَّبَاتِ وَحْدَهُ، بَلْ لِفِرَاقِ نُفُوسِهِمْ عَنِ الْإِعْتِبَارِ، وَامْتِلَائِهَا بِتَعْظِيمِ الدُّنْيَا، وَتَقْدِيسِ ظَاهِرِهَا⁽³⁾.

سِرُّ التَّعْبِيرِ بِوَصْفِ «الْكُفَّارِ» لِلزُّرَّاعِ:

اسْتَعْمِلَ وَصْفُ «الْكُفَّارِ»؛ لما تَدُلُّ عَلَيْهِ أَوَّلُ الْمَادَّةِ مِنَ السِّتْرِ، فَالْكُفَّارُ، جَمْعُ: كَافِرٍ، وَهُوَ الَّذِي يَكْفُرُ الزَّرِيعَةَ بِتَرَابِ الْأَرْضِ، وَالْكَفْرُ هُنَا بِمَعْنَى السِّتْرِ، أَي: سِتْرَ الزَّرِيعَةِ عَنِ الظُّهُورِ، وَقَدْ أَوْثَرَ هَذَا

غَيْثٌ ذُو نَفْعٍ
عَظِيمٍ لِلنَّاسِ
يُحْيِي الْأَرْضَ
وَمَنْ عَلَيْهَا

تمام الحُسن
وخصوصية
إِسْنادِهِ إِلَى
الْكُفَّارِ؛ لِفِرَاقِ
اِفْتِتَانِهِمْ بِزِينَةِ
الدُّنْيَا

تُورِيَّةٌ بَيْنَ الزُّرَّاعِ
وَالْكَافِرِينَ،
وَبَيَانٌ أَنْبِهَاهُمْ
بِزِينَةِ الدُّنْيَا

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 404 / 27.

(2) محمد الخطيب، أَوْضَحَ التَّفَاسِيرِ: 668 / 1.

(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 256 / 17.

اللفظ؛ لما يَحْمِلُهُ من تورية تَجَمُّع بين الكُفَّار الذين هم كافرونَ بالله تعالى، والزُّراع الذين يَسْترون بذورهم في الأرض، ويأتي قوله تعالى: ﴿أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَأُهُ﴾ متوافقًا مع هذا المعنى؛ إذ إنَّ الإعجاب هنا صادرٌ من الكفار، وهم أشدُّ النَّاس تعلقًا بزخرف الدنيا، فلا أملَ لَهُم في شيءٍ بعدها⁽¹⁾.

دلالة (أل) في ﴿الْكُفَّارَ﴾:

﴿الْكُفَّارَ﴾ في الآية يجوزُ أن يُرادَ به الزُّراع - على الأصل اللغوي - إذ الكافر هو مَنْ يَكْفُر البذرة، أي: يغطِّيها بالتُّراب، ويجوز أن يُراد به الكافرون بأعيانهم؛ لما في سياق المثل من إشعار بأنَّ الدنيا أشدُّ ما تُعْجِب الكافرين؛ إذ لا يؤمنون بالبعث⁽²⁾، ولا يَرْجون ما وراءها، فكان تعلقهم بزخرفها أعمق، وإعجابهم بها أرسخ، و(أل) في ﴿الْكُفَّارَ﴾ يُرادُ به استغراقُ الجنس، وذلك لشدة حسن الأرض وجمالها؛ بحيث لم يبقَ أحدٌ مِنَ الزُّراع - أو الكافرين المنغمسين في التعلق بالدُّنيا - إلَّا وقد أُعْجِبَ بها.

سِرُّ التعبير بالكفار دون الكافرين:

عُبرَ بلفظِ ﴿الْكُفَّارَ﴾ دون (الكافرين)؛ لأنَّ الأوَّل يحتمل معنيين، أحدهما: الزُّراع على الأصل اللغوي؛ إذ الكافر مَنْ يَكْفُر الحبَّ، أي: يغطِّيهِ بالتُّراب، والآخر: الكافرون بالله تعالى، الذين يُعْظَمون الدنيا، ويُمْتَنون بزخرفها⁽³⁾، بخلاف لفظِ (الكافرين)؛ فإنَّه لا يحتمل إلَّا الجاحدين بالله تعالى وحده، دون الإشارة إلى الزُّرع وأهله.

دلالة تقديم المفعول على الفاعل في قوله: ﴿أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَأُهُ﴾:

﴿الْكُفَّارَ﴾ في قول الله تعالى: ﴿أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَأُهُ﴾ مفعولٌ،

إعجابهم
جميعًا بحسن
الأرض وجمالها

تعدد الدلالة
بين الزرع
والجحد بالله
تعالى في سياق
التحذير من
الافتتان بالدُّنيا

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 404 / 27.

(2) النحاس، إعراب القرآن: 241 / 4.

(3) أبو حيان، البحر المحیط: 110 / 10.

و﴿نَبَاتُهُ﴾ مرفوعٌ على الفاعلية⁽¹⁾، وقد قُدِّمَ المفعولُ على الفاعل على خلاف الأصل؛ لإفادة التخصيص والاهتمام، فليس كلُّ أحدٍ يُعجَّبُ بهذا النبات، بل الذين أعجَبَهُمْ حقيقةُ هُمُ الكفار؛ لما في نفوسهم من تعظيمٍ للدُّنيا، وافتتانٍ بزخرفها، بخلاف المؤمن الذي لا يقف عند حدود الإعجاب الظاهري، بل يتجاوزه إلى الاعتبار والتذكر.

بيان خصوص
إعجابهم
بالنبات
وافتيانهم بزيينة
الدُّنيا

سِرُّ تخصيص الإعجاب بالكفار:

في تخصيص الإعجاب بالكفار دون المؤمنين نكتة، فالْمُؤْمِنُ إذا أبصر ما يُعجب النَّظَرَ لم يقفْ عند حُسْنِ الظاهر، بل يرتقي بفكره إلى قُدْرَةِ خالقه، فيُعجَبُ بالصُّنْعَةِ لا بالصُّورَةِ، وينتقل قلبه إلى ما أعدَّ الله لأهل طاعته في الآخرة؛ إذ مَطْمَحُ نظره معقودٌ على محاسن الدَّارِ الآخرة، فلا تَمَتَّدُ عينُه إلى زهرة الحياة الدُّنيا إلا اعتباراً، بخلاف الكافر الذي يقف عند الظاهر، ويؤخِّذُ ببريق الدُّنيا، فلا يرى وراءها غاية⁽²⁾.

الكافر يُعجَبُ
بالظاهر،
والمؤمن يتأمل
قدرة الخالق
سبحانه

وعلى حَمَلِ ﴿الْكُفَّارِ﴾ على معنى الزُّرْع؛ فإنَّ تخصيصهم بالذكر؛ لكونهم أعرَفَ النَّاسِ بدقائقه، وأشدَّهم ولعاً بحُسْنِهِ ونمائه.

سِرُّ التعبير بالنبات عن الزُّرْع النَّابت:

عُبرَ بالنبات عن الزُّرْع النَّابت في قول الله تعالى: ﴿أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ﴾؛ لأنَّ النَّبَاتَ اسْمُ مُصْدَرٍ مِنْ نَبَتَ، كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [نوح: 17]، وأُطْلِقَ هنا على النَّابتِ بصيغة المَصْدَرِ التي تُطْلَقُ أحياناً على الفاعل؛ للدُّلالة على الكثرة أو المبالغة، مع احتمال أن يُسْتَعْمَلَ هذا اللَّفْظُ للمبالغة، فيكثر انتشاراً، فيزول معه قَصْدُ المبالغة⁽³⁾.

بين دلالة الكثرة
والمبالغة وتأثير
الانتشار

(1) ابن الأحنف اليمني، البستان في إعراب مشكلات القرآن: 3/ 341.

(2) الظهري، التفسير الظهري: 9/ 200.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 27/ 405.

دلالة الإضافة في قوله: ﴿نَبَاتُهُ﴾:

أُضِيفَ النَّبَاتُ إِلَى الضَّمِيرِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿نَبَاتُهُ﴾، تُشِيرُ إِلَى نَبَاتِ ذَلِكَ الْغَيْثِ تَحْدِيدًا، فَالْإِضَافَةُ تَبَيَّنَ التَّبَعِيَّةَ وَالْإِمْتِلَاقَ، وَتَوَضَّحَ أَنَّ الْإِعْجَابَ مُتَعَلِّقٌ بِمَا أُنتَجَتْهُ تِلْكَ الْأَمْطَارُ، أَمَّا الْإِعْجَابُ الَّذِي يُبْدِيهِ الْكَافِرُ؛ فَهُوَ غَالِبًا مَصْحُوبٌ بِبَسْطِ الدُّنْيَا لَهُ، بِاعْتِبَارِهِ نَوْعًا مِنَ الْإِسْتِدْرَاجِ الْإِلَهِيِّ⁽¹⁾.

بلاغة الاستعارة التمثيلية في الآية:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ﴾ استعارة تَمَثِيلِيَّةٌ بَلِيغَةٌ، تُصَوِّرُ بِهَا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فِي عَجَلَتِهَا الزَّائِلَةِ، وَضَعْفِ أَثَرِهَا الَّذِي لَا يَدُومُ، كَمَا هُوَ شَأْنُ النَّبَاتِ الَّذِي أَنْبَتَهُ الْغَيْثُ؛ إِذْ سُرْعَانَا مَا يَسْتَوِي، وَيُعْجَبُ بِهِ الزُّرَّاعُ أَوِ الْكُفَّارُ، غَيْرَ أَنَّ كِلَا الْفَرِيقَيْنِ يَنْفَقُ عَلَى شِدَّةِ افْتِنَانِهِمْ بِزُخْرَفِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَانْبِهَارِهِمُ الرَّاغِبِينَ بِجَمَالِهَا الزَّائِلِ⁽²⁾.

دلالة التعبير بـ ﴿ثُمَّ﴾ دون الفاء في قوله: ﴿ثُمَّ يَهِيْجُ﴾:

جَاءَ الْعَطْفُ بِـ ﴿ثُمَّ﴾ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ يَهِيْجُ﴾ لَا بِالْفَاءِ؛ لِمَا فِيهِ مِنَ التَّرْتِيبِ مَعَ التَّرَاخِي⁽³⁾، وَهُوَ مَعَ التَّرَاخِي الزَّمْنِيِّ تَرَاخٍ رُتَبِيٍّ أَيْضًا؛ إِذْ ارْتَقَتْ دَلَالَةُ الْإِصْفَارِ مِنْ مَجْرَدِ تَحَوُّلٍ فِي الْهَيْئَةِ إِلَى عَلَامَةٍ صَارِخَةٍ عَلَى دُنُوِّ الْفَنَاءِ وَالزُّوَالِ، فَتَرَاخَتْ الرُّتَبَةُ؛ لِتُبَرِّزَ شِدَّةُ الزُّهْدِ فِي زُخْرَفِ الدُّنْيَا وَمَتَاعِهَا⁽⁴⁾.

دلالة التعبير بالفعل ﴿يَهِيْجُ﴾ مادةً وصيغةً:

اسْتَعْمَلَ الْفِعْلُ ﴿يَهِيْجُ﴾؛ لِمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ مِنْ سُرْعَةِ التَّحَوُّلِ، وَابْتِدَاءِ الْجَفَافِ وَالْيَبْسِ؛ إِذَا نَأَى بِقُرْبِ الْحَصَادِ⁽⁵⁾، فَالْهِيَاجُ فِي أَصْلِ مَادَّتِهِ

إِعْجَابُ الْكَافِرِ
الْحَاجِدِ بِبَسْطِ
الدُّنْيَا اسْتِدْرَاجٌ
إِلَهِيٌّ

تصويرُ الحياة
الدُّنْيَا بِزَوَالِهَا
وَعُرُورِ افْتِنَانِهَا
أَهْلِهَا بِزُخْرَفِهَا

إِصْفَارُ النَّبَاتِ
نَذِيرُ الْفَوَاتِ،
وَدَلِيلُ الزُّهْدِ فِي
الْمَتَعِ وَاللَّذَاتِ

هِيَاجُ الزَّرْعِ
اضْطِرَابٌ
وَتَوَرُّانٌ، وَدَلِيلُ
الْغَلْظِ وَقُرْبِ
الدُّبُولِ وَالْهَوَانِ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 289 / 19.

(2) الدرويش، إعراب القرآن وبيانه: 470 / 9.

(3) الدرويش، إعراب القرآن وبيانه: 469 / 9.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 405 / 27.

(5) البقاعي، نظم الدرر: 289 / 19.

يُشير إلى الاضطرابِ والثَّورانِ، ومنهُ: هياجُ البحرِ والثَّائرِ، والزَّرعُ إذا اشتدَّ، وغُلظُ؛ أَحَدَتْ لِحَرَكَتِهِ صَوْتًا كَأَنَّهُ ثَائِرٌ مُضْطَرِبٌّ، فكان استعمالُ هذا الفِعْلِ في وَصْفِهِ تعبيرًا بديعًا عن لحظةِ تحوُّلهِ مِنَ النَّضَارَةِ إِلَى الانطفاءِ، ومن الخُضرةِ إِلَى الذُّبُولِ الصَّاحِبِ قَبْلَ الْفَنَاءِ⁽¹⁾، وفي التَّعبيرِ بِالْفِعْلِ مضارعًا استحضارٌ للحالِ في ذهنِ الملتقي كَأَنَّهَا حاصلةٌ وَقْتَ الْخُطَابِ.

دلالةُ التَّعبيرِ بِالْفَاءِ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَتَرَلَهُ﴾:

جاء التَّعبيرُ بِالْفَاءِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَتَرَلَهُ مُصَفَّرًا﴾ دون (ثمَّ)؛ لَتَدُلُّ عَلَى التَّسَبُّبِ وَتَوَالِي الْأَثَرِ، فَكَأَنَّ الْهِيَاجَ الْعَنِيفَ بِمَا فِيهِ مِنْ اضْطِرَابٍ وَثَّورَانٍ بَعْدَ اكْتِمَالِ النُّمُو وَتَمَامِ الْخُضْرَةِ، لَا يَلْبَثُ أَنْ يُفْضِيَ مَبَاشَرَةً إِلَى الْاَصْفِرَارِ وَالْانْحِسَارِ، فَيَتَحَوَّلُ بِهَاوِهِ نَحْوًا، وَزَهْرَتُهُ ذُبُولًا⁽²⁾.

هِيَاجٌ فَاصْفِرَارٌ،
ثُمَّ انْهِيارٌ

ويجوز أن تكون الفاءُ مُؤَدِّنَةً بِسُرْعَةِ التَّبَدُّلِ، وَتَلَاخُقَ الْأَحْوَالِ الَّذِي يُسَمِّيهِ النَّحْوِيُّونَ بِالتَّعْقِيبِ⁽³⁾؛ إِذْ لَمْ يَعُدَّ بَيْنَ نَضَارَتِهِ وَذُبُولِهِ فَاصِلٌ يُذَكِّرُ، فَتَرَاهُ مُصَفَّرًا بَعْدَ أَنْ كُنْتَ تَرَاهُ نَاضِرًا مُوْنِعًا؛ دَلَالَةً عَلَى أَنَّ الْاَصْفِرَارَ مُقَارِنٌ لِلْجَفَافِ⁽⁴⁾.

نَضَارَةٌ لَمْ
تَدُمْ وَاصْفِرَارٌ
اقْتَرَنَ بِالْجَفَافِ
وَالْعَدَمِ

دلالةُ التَّعبيرِ بِالرُّؤْيَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَتَرَلَهُ﴾:

عَبَّرَ بِفِعْلِ الرُّؤْيَةِ فِي ﴿فَتَرَلَهُ﴾ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَتَرَلَهُ مُصَفَّرًا﴾ دُونَ النَّظَرِ؛ لِمَا يُشْعِرُ بِهِ فِعْلُ الرُّؤْيَةِ مِنَ الْيَقِينِ وَالتَّحَقُّقِ مِنْ حَالِ النَّبَاتِ بَعْدَ اَصْفِرَارِهِ، بِخِلَافِ النَّظَرِ فَإِنَّهُ يَدُلُّ عَلَى تَوْجِيهِ الْعَيْنِ وَلَا يُلْزَمُ مِنْهُ حَصُولُ الْيَقِينِ⁽⁵⁾.

فِي الرُّؤْيَةِ تَحَقُّقٌ
وَيَقِينٌ، وَالنَّظَرُ
دُونَ ذَلِكَ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 405 / 27.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 484 / 16.

(3) ابن عقيل، للساعد على تسهيل الفوائد: 84 / 3.

(4) ابن عجيبة، البحر اللديد: 322 / 7.

(5) محمّد داود، معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم، ص: 133 - 136.

تعظيم المشهد برؤية النبي ﷺ

دلالة الخطاب في قوله: ﴿فَتَرَاهُ﴾:

زاد السياق جمالاً ووقعاً في النفوس إسناد الرؤية إلى النبي ﷺ، في قوله تعالى: ﴿فَتَرَاهُ﴾، فكان الخطاب له تشریفاً، وفي الوقت نفسه تعظيماً لمعنى المشهد⁽¹⁾، كأن المعنى: تأمله أنت يا رسول الله، وأدرك عظم التحول وانهايار البهاء؛ وذلك لحمل السامع على التدبر والتفكير، فهو خطاب يفيض مهابةً، ويستنهض البصيرة، في تصوير بليغ لتقلب الدنيا واضمحلال زينتها.

ويجوز أن يكون الخطاب قد خرج عن أصله من إرادة المشاهد المعين؛ قصداً إلى إرادة العموم، أي: فتراه أيها المخاطب؛ وذلك لظهور هذا الذبول والاصفرار بحيث لا يخفى على أي راء رأى ذلك.

دلالة الإضمار في قوله: ﴿فَتَرَاهُ﴾:

جاء البيان القرآني بالإضمار في قوله: ﴿فَتَرَاهُ﴾ دون الإظهار، فلم يرد النظم القرآني: (فترى النبات مصفراً)؛ وذلك لتقدم ذكره في قوله: ﴿أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَأُهُ ثُمَّ يَهِيْجُ فَتَرَاهُ مُصَفَّرًا﴾، فالإشارة إليه بالضمير كافية ليدرك المخاطب معناه، كما أن في الإضمار إيماء إلى حقارة ما آل إليه شأن النبات، حتى كأنه لم يعد خليقاً بإظهار اسمه الصريح بعد أن فقد بهاءه ونضارته.

دلالة التعبير بقوله: ﴿مُصَفَّرًا﴾:

استعمل لفظ ﴿مُصَفَّرًا﴾ بدلاً من (أصفر)؛ لما في الصيغة من إيحاء بالحال الناتج عن فعل سابق، فهو لا يصف مجرد لون، بل يشير إلى تحول طراً، وزوال بدأ، فكأن الزرع قد مرَّ بدورة الجمال والبهاء، ثم آل أمره إلى الاصفرار؛ إيداناً بالجفاف والانتهاء⁽²⁾، وفي هذا التعبير تنبيه خفي على ماضوية الحال⁽³⁾.

تحقيق الحال التي آل إليها النبات

دلالة المخي في مشهد الذبول والاضمحلال

(1) البقاعي، نظم الدرر: 16 / 484.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 16 / 484.

(3) القنوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 18 / 464.

سِرُّ اخْتِيَارِ لَوْنِ الْاَصْفَرِ:

اخْتِيَرِ اللَّوْنَ الْأَصْفَرَ دُونَ غَيْرِهِ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَتَرَنُهَا مُصْفَرًّا﴾؛ لَكُونِ الصُّفْرَةَ اللَّوْنَ الْأَظْهَرَ فِي إِفَادَةِ الذُّبُولِ وَالْيَبْسِ، فَيَكُونُ فِيهِ إِيْمَاءٌ إِلَى انْطْفَاءِ الْحَيَاةِ بَعْدَ إِشْرَاقِهَا.

سِرُّ التَّعْبِيرِ عَنِ الْاَصْفَرِ بِالْاِسْمِ:

جَاءَ التَّعْبِيرُ بِالْاِسْمِ فِي وَصْفِ الْاَصْفَرِ دُونَ الْفِعْلِ، كَأَن يُقَالُ: (فَيَصْفُرُ)؛ إِذَا نَأً بَشَّاتِ الْحَالِ وَاسْتَقْرَارِهَا لَا مَجْرَدَ حُدُوثِهَا، فَالْصَّيْغَةُ الْاِسْمِيَّةُ تُوْحِي بِأَنَّ الزَّرْعَ قَدْ بَلَغَ حَالَ الْاَصْفَرِ بِالْفِعْلِ، لَا أَنَّهُ فِي طَرِيقِهِ إِلَيْهَا، وَكَأَنَّ الْجَفَافَ لَمْ يَعُدْ مَتَوَقَّعًا بَلْ وَاقِعًا مَشْهُودًا، وَالْمُتَرَتِّبُ عَلَيْهِ لَيْسَ مَجْرَدُ التَّحَوُّلِ، بَلْ رُؤْيَاهُ عَلَى تِلْكَ الْهَيْئَةِ الْمُوْحِيَةِ بِالذُّبُولِ وَالْاِنْطْفَاءِ⁽¹⁾.

دَلَالَةُ الْعُطْفِ بـ ﴿ثُمَّ﴾ دُونَ الْفَاءِ:

جَاءَ الْعُطْفُ بِـ ﴿ثُمَّ﴾ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ يَكُونُ حُطْلًا﴾ دُونَ الْفَاءِ؛ إِذَا نَأً بَتَرَاحَ زَمَنِي يُوْحِي بِأَنَّ مَا بَعْدَ الْجَفَافِ لَيْسَ فَوْرًا، بَلْ يَمُرُّ بِمَرْحَلَةٍ مِنَ التَّيْبُسِ وَالْجُمُودِ وَالْاَضْمِحْلَالِ الصَّامِتِ، حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى الْحُطَامِ، فَتُصَوِّرُ ﴿ثُمَّ﴾ مَشْهُدًا مُتَدَرِّجًا لَانْكَسَارِ الْحَيَاةِ، وَتَنْتَهِي الذُّبُولِ، وَابْيَاضِ الزَّرْعِ، حَتَّى يَصِيرَ فُتَاتًا هَشًّا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ⁽²⁾.

دَلَالَةُ التَّعْبِيرِ بِالْفِعْلِ الْمُضَارِعِ ﴿يَكُونُ﴾:

اخْتِيَرِ الْفِعْلَ الْمُضَارِعَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ يَكُونُ حُطْلًا﴾ بَدَلًا مِنْ الْفِعْلِ الْمَاضِي؛ إِشَارَةً إِلَى التَّجَدُّدِ وَالْاِسْتِمْرَارِ وَالتَّكْرَارِ، فَالْمَشْهُدُ لَيْسَ حَدَثًا مَاضِيًا، وَانْقَضَى، بَلْ يَتَكَرَّرُ فِي كُلِّ زَرْعٍ يَزْدَهَرُ، ثُمَّ يَذْبُلُ، وَفِي كُلِّ حَيَاةٍ تَزْهَوُ، ثُمَّ تَذْوِي، فَهُوَ كَوْنٌ كَأَنَّهُ مَطْبُوعٌ فِيهِ ذَلِكَ⁽³⁾.

إثبات الحال
واختصار المال

تصوير مشهد
متدرج لانكسار
الحياة

خطام يتكرر
وزوال لا يتأخر

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 210 / 8.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 289 / 19.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 289 / 19.

باعتباره مصيرًا دائمًا يتجدد؛ ليعمق في النفس معنى الزوال، ويرسخ في الوجدان حقيقة الفناء.

سِرُّ إسنَادِ فِعْلِ الْكَوْنِ لِلنَّبَاتِ وَفِعْلُ الْجَعْلِ فِي آيَةِ أُخْرَى لِلَّهِ تَعَالَى:

فعل الْكَوْنِ في قوله: ﴿ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا﴾ مسندٌ إلى النَّبَاتِ؛ إذ هو الذي يتحوّل، ويَنْتَهِي إلى الحُطَامِ بضعفه، وأمّا في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا﴾ [النمر: 21]، فالفعل مُسندٌ إلى الله سبحانه (1)؛ لما في السياق من إظهار القُدْرَةِ الإلهيَّةِ التَّامَّةِ في التَّصْرِيفِ والتَّدْبِيرِ، فحين يكون المقام مقام بيان قوانين التَّحَوُّلِ الطَّبِيعِيَّةِ؛ كان التَّعْبِيرُ بِالْكَوْنِ المُسندِ إلى المخلوق، أمّا حين يُراد إبرازُ سُلْطَانِ اللهِ تَعَالَى على المَوْجُودَاتِ؛ فإنّه اختيرَ الفعلُ ﴿يَجْعَلُهُ﴾ [النمر: 21] المُسندُ إلى الرَّبِّ ﷻ، للدَّلالة على أنّ ما يبدو طبيعيًّا إنّما هو بِمَحْضِ إِرَادَتِهِ وتقديره، فيتحوّل الزَّرْعُ بأمره إلى حُطَامٍ مُفْتَتٍ بالٍ، لا بفعلِ الزَّمَنِ وحده (2).

دلالةُ التَّعْبِيرِ بِالْحُطَامِ هُنَا وَبِالْهَشِيمِ فِي سُورَةِ الْكَهْفِ:

اختيرَ التَّعْبِيرُ بـ ﴿حُطَامًا﴾ على خِلافِ ﴿هَشِيمًا﴾ في سورة الْكَهْفِ؛ لما في لَفْظِ الحُطَامِ من قُوَّةٍ في الدَّلالة، وبلاغةٍ في التَّصْوِيرِ؛ إذ هو بناءٌ مُبالغةٌ (3)، يدلُّ على ما تحطّم، وتكسّر، وانتهى إلى فُتَاتٍ لا يُنتَفَعُ به، وهو أبلغُ مِنَ الْهَشِيمِ الَّذِي يُفِيدُ الجفافَ دونَ الإشارةِ الصَّريحةِ إلى التَّحَطُّمِ.

بلاغةُ التَّمْثِيلِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ:

تتجلّى بلاغةُ التَّمْثِيلِ في تصويرِ الحياةِ الدُّنْيَا بأطوارِ الزَّرْعِ، في مشهدٍ مُفَعَّمٍ بِالْحَيَوِيَّةِ في أوّله، ثُمَّ لا يلبث أن يَنْقَلِبَ إلى دُبُولٍ واضمحلالٍ، فَالتَّشْبِيهُ هُنَا تشبيهُ هَيْئَةٍ مُرَكَّبَةٍ بهيئةٍ مثْلِها، ويُقصدُ به بيانُ تَقَلُّبِ أحوالِ الدُّنْيَا على نحوٍ محسوسٍ مَلْمُوسٍ، قابِلٍ لِلْمُشَاهَدَةِ

يَكُونُ النَّبَاتُ
حُطَامًا بَضْعُهُ،
وَيَجْعَلُهُ اللهُ
تَعَالَى حُطَامًا
بِقُدْرَتِهِ

تَضَوُّيْرُ الْفَنَاءِ
بِقُوَّةِ التَّحْطِيمِ
لَا مَجْرَدَ الْجَفَافِ

مِنْ غَيْثِ الْحَيَاةِ
إِلَى حُطَامِ الْفَنَاءِ
فِي تَمْثِيلِ قَرَأَتِي
بُصُورَ تَقَلُّبِ
الدُّنْيَا وَزَوَالِ
بَهْجَتِهَا

(1) محمّد الهلال، تفسير القرآن الثّري: 349/ 11.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 484/ 16.

(3) ابن عطية، للحرر الوجيز: 267/ 5.

والتدبُّر، فأطوارُ الحياةِ مِنَ اللَّعْبِ واللَّهْوِ والزَّيْنَةِ والتَّفَاخِرِ والتَّكَاثُرِ تُقابلُ أطوارَ الزَّرْعِ مِنَ النَّبَاتِ عَقَبَ الْغَيْثِ إِلَى الْهَيْجَانِ والنُّمُو، ثُمَّ الْإَصْفِرَارِ والتَّحَطُّمِ، فَاللَّعْبُ واللَّهْوُ يقابلانِ أَوَّلَ الشَّبَابِ وبداياتِ الاندِفَاعِ، والزَّيْنَةُ والتَّفَاخِرُ تقابلانِ طَوْرَ النُّضْجِ والقُوَّةِ والازدهارِ، والتَّكَاثُرُ يُقابلُ ذُرْوَةَ الْإِنْتاجِ والثَّمَرِ، ثُمَّ يَكُونُ الْإِنْهْيَا: ﴿فَتَرْنَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطْلَمًا﴾، كما في الكهولةِ والشَّيْخُوخَةِ والفناءِ، وهذا التَّمَثِيلُ البديعُ لَا يَخْلُو مِنْ دَقَّةٍ فِي التَّفْصِيلِ وَمُقَابَلَةِ الْأَجْزَاءِ، مِمَّا يَمْنَحُ الْقَارِئَ صُورَةً مُتَكَامِلَةً لِحَقِيقَةِ الدُّنْيَا وتقلُّبِهَا، حَتَّى لِيَكَادُ يُشَاهِدُ نَفْسَهُ فِي أَطْوَارِ الزَّرْعِ، وَيَتَبَيَّنُ خَدَاعُ الْمَتَاعِ، وَسُرْعَةُ الزَّوَالِ⁽¹⁾.

دلالة الواو في قوله: ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾:

لَمَّا فَرَعَ السِّيَاقُ مِنْ تَصْوِيرِ حَالِ الدُّنْيَا فِي زِينَتِهَا الْخَادِعَةِ وَسُرْعَةِ زَوَالِهَا؛ أَعْقَبَهُ بِذِكْرِ مَالِهَا الْحَقِّ وَأَثَارِهَا الْبَاقِيَةِ، فَجَاءَتِ الْوَوُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ عَاطِفَةً عَلَى مَقْدَرِ مَفْهُومِ مِنَ السِّيَاقِ، كَأَنَّهُ يَقُولُ: هَذَا حَالُ الدُّنْيَا فِي تَقَلُّبِهَا وَفَنَائِهَا وَاضْمِحْلَالِهَا⁽²⁾، وَفِي الْآخِرَةِ حَيْثُ الْمَصِيرُ الْحَقُّ جَزَاءً لِمَا اقْتَرَنَ بِهَا مِنْ عَمَلٍ.

دلالة التعبير بالآخرة دون الدار الآخرة:

جَاءَ التَّعْبِيرُ بِالْآخِرَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ دُونَ (الدار الآخرة)؛ إيجازًا واختصارًا؛ إِذْ (أَل) فِي الْآخِرَةِ لِلْعَهْدِ الْعِلْمِيِّ، فَإِطْلَاقُ الْوَصْفِ يُفْهَمُ الْمَقْصُودَ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَى التَّنْصِيسِ عَلَى الْمَوْصُوفِ.

بلادة تقديم الجار والمجرور ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ على المبتدأ:

قُدِّمَ الْجَارُ وَالْمَجْرُورُ - وَهُوَ مُتَعَلِّقُ الْخَبَرِ - عَلَى الْمُبْتَدَأِ⁽³⁾، فِي قَوْلِهِ

التَّحَوُّلُ مِنَ
الزَّيْنَةِ الرَّائِلَةِ إِلَى
العَاقِبَةِ الْخَالِدَةِ

طَيُّ مَا دَلَّ
السِّيَاقُ عَلَيْهِ
إِيجَازًا وَاختِصَارًا

بَيَانُ شِدَّةِ الْمَصِيرِ
وَدَوَامِهِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 406 / 27.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 290 / 19.

(3) السمين الحلي، الدر للصون: 250 / 10.

تعالى: ﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ تحقيقاً لأسلوبِ القَصْرِ؛ للدلالة على أَنَّ العذابَ الشَّدِيدَ لا يُتَصَوَّرُ في الدُّنْيَا وَإِنْ اشْتَدَّ، بل هو في الآخرةِ وَحْدَهَا؛ إذ يَبْلُغُ الغَايَةَ في الشَّدَّةِ والدَّوامِ، فكان هذا التَّقْدِيمُ إيذاناً بتفرد الآخرة بهذا المصير؛ تنبيهاً على خطورتِهِ، واستحقاقه للتأمل والاعتبار.

عَرَضُ الْخَبَرِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ﴾:

الخبَرُ في قوله تعالى: ﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ﴾، مستعملٌ في مقام التحذيرِ مِنْ أَحَدِ الْمَالَيْنِ، والتَّحْرِيسِ على الآخر، وذلك بقرينةِ سياقِ الآيةِ الذي أَبْرَزَ زَيْفَ الدُّنْيَا وسُرْعَةَ زَوَالِهَا، فكان المقصودُ التَّوْجِيهَ لا الإخبارَ المَحْضَ، ولهذا لم يُبَيَّنْ صراحةً أصحابُ العذابِ، وأصحابُ المغفرةِ والرضوانِ⁽¹⁾؛ لاكتفائِهِ بِظُهُورِهِمْ فِي السِّيَاقِ؛ اعتماداً على ما تَقَرَّرَ مِنْ أدلَّةِ العَمَلِ والجزاءِ.

دلالة التعبير بـ ﴿عَذَابٌ﴾ مُنْكَرًا:

اختير التعبير بـ ﴿عَذَابٌ﴾ نكرةً؛ للدلالة على فِطْأَةِ مَا يُنْتَظَرُ في الآخرة، فَالتَّنْكِيرُ هُنَا يُفِيدُ التَّهْوِيلَ والتَّعْظِيمَ؛ إذ يُطْلَقُ المَعْنَى بلا حَدٍّ وَلَا قَيْدٍ؛ لِتَحَارِ الْعُقُولُ فِي تَصَوُّرِهِ، وَيَعْجَزُ الْوَصْفُ عَنْ إدْرَاكِ كُنْهِهِ، فهو عَذَابٌ لَا يُشَبِّهُهُ عَذَابٌ، وَلَا يُقَاسُ عَلَيْهِ عِقَابٌ، وهو أَبْلَغُ فِي التَّخْوِيفِ والرَّدْعِ مِنْ كُلِّ تَعْيِينٍ.

سِرُّ وَصْفِ الْعَذَابِ بِالشَّدِيدِ دُونَ الْعَظِيمِ:

اختير وصفُ العذابِ بـ ﴿شَدِيدٌ﴾ دُونَ (عظيم)؛ لما في الشَّدَّةِ مِنْ دلالةٍ على قُوَّةِ الأثر وقسوةِ الإحساسِ، فهي تَصِفُ ما يَلَاقِيهِ الْكَافِرُ مِنْ أَلَمٍ وَعَذَابٍ حَسِّيٍّ وَنَفْسِيٍّ بَالِغٍ لَا يُحْتَمَلُ جَزَاءً وَفَاقًا⁽²⁾، بخلاف (عظيم) فَإِنَّهُ قَدْ يُمْهِمُ مِنْهُ مَجْرَدُ الْكِبَرِ أَوْ الْهَوْلِ، دُونَ الدَّلَالَةِ على شَدَّةِ المَعَانَاةِ.

تقابل العذاب
والمغفرة
بين التحذير
والتحريض في
مصير الآخرة

تهويل العذاب
وفطاعة المآل
وعجز العقول
عن تصوُّره

بلوغ العذاب
أقصى درجات
القسوة والشدة

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 406 / 27.

(2) مجمع البحوث، التفسير الوسيط: 9 / 1300.

سِرُّ عَدَمِ ذِكْرِ (من الله) مع العذاب، كما ذُكِرَ مع المَغْفِرَةِ:

جاء التعبير في قوله تعالى: ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ﴾ مقروناً بـ ﴿مِّنَ اللَّهِ﴾ دون أن يُذَكَّرَ مثْلُ ذَلِكَ مع قوله: ﴿عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾؛ تنزيهاً للمقام عن نسبة العذاب صراحةً إلى الله تعالى في موضع بيان الرَّحْمَةِ والمَغْفِرَةِ، وإيماءً إلى أنَّ الخيرَ هو المقصودُ بِالخِطَابِ ابتداءً، والرَّحْمَةُ هي الغالبةُ في مشيئته ﷻ (1).

دلالة التعبير بالواو في قوله: ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾:

الواو في ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ تدلُّ على التَّقابُلِ بينَ الأمرينِ في مقام الجزاءِ، ويرى بعضُ أهلِ العِربِيَّةِ أنَّ الواو في هذا الموضعِ تحمِلُ معنى (أو) بمعنى الاختيارِ والتَّفْصِيلِ، فالآخرةُ إمَّا أن تكونَ دارَ عذابٍ شديدٍ لِمَن كَفَرَ، وَجَحَدَ، وإمَّا دارَ مَغْفِرَةٍ وِرْضوانٍ لِمَن آمَنَ، وَعَمِلَ صَالِحاً (2).

بلادةُ الكِنَايَةِ في ذِكْرِ المَغْفِرَةِ والرِّضْوَانِ:

كُنِيَ عن النِّعَمِ بالمَغْفِرَةِ والرِّضْوَانِ؛ لأنَّ النِّعَمَ نوعان: ماديٌّ وروحانيٌّ، فالمَغْفِرَةُ والرِّضْوَانُ هما أصلُ النِّعَمِ الرُّوحَانِيِّ، كما قال تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: 72]، وهما يَقْتَرِنَانِ بالنِّعَمِ المادِّيِّ؛ إذ إنَّ أهلَ الجَنَّةِ بعدما جَمَعَت ذواتُهُم بينَ الأجسادِ والأرواحِ؛ كان هذان النِّعَمَانِ مُناسِبَيْنِ لَهُم تَكثِيراً للذَّاتِ، وإشباعاً للطَّبِيعَةِ البَشَرِيَّةِ؛ إذ إنَّ لَذَّةَ الأجسامِ لا تستقيم إلَّا بِمُدْرَكَاتِ الأرواحِ، والرِّضْوَانُ مِنَ اللَّهِ تعالى هو ما يُعْطِيهِمْ أَقْصَى ما بِهِ تَلَذُّذُهُمْ، والمَغْفِرَةُ تَقْتَضِي الصَّفْحَ عَمَّا قد يُعِيقُ بُلُوغَ تلكَ اللذاتِ (3).

الإيماء إلى
أنَّ الخيرَ هو
المقصودُ أوَّلاً

الآخرةُ بينَ عذابٍ
سببُهُ الكُفْرُ،
ومَغْفِرَةٍ موجِبُها
الإيمانُ

المَغْفِرَةُ
والرِّضْوَانُ هما
جوهرُ النِّعَمِ
الرُّوحَانِيِّ

(1) الألوسي، روح المعاني: 14 / 185.

(2) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 23 / 194.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 27 / 406.

دلالة التَّنْكِيرِ في قوله: ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾:

مَغْفِرَةٌ تُنِيرُ
الْقُلُوبَ، وَتَفْتَحُ
أَبْوَابَ النِّعَمِ فِي
حَضْرَةِ الرَّحْمَنِ

نُكِرَ لفظُ ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾؛ ليزدادَ المعنى تعظيماً⁽¹⁾؛ إذ ينقلُ القلوبَ من مجردِ الجزاءِ إلى عظيمِ الرَّحمةِ والرِّضا الإلهيِّ، فتشرقُ الأنوارُ على أرواحِ الْمُؤْمِنِينَ، وتتلألأُ ظلالُ الرَّحمةِ في جَنَابَاتِ قُلُوبِهِمْ؛ ليكونَ النِّعِيمُ أكملَ وأسمى في حَضْرَةِ الرَّحْمَنِ.

سِرُّ التَّعْبِيرِ بِالْمَغْفِرَةِ دُونَ الْعَفْوِ:

لِلْمَغْفِرَةِ: سِتْرُ
الدَّنْبِ، وَالْعَفْوِ:
تَجَاوُزُ عَنْهُ، وَقَدْ
يَقْتَرِنُ بِهِ لَوْمٌ

جاءَ البيانُ القرآنيُّ بلفظِ المغفرةِ في قولِ الله تعالى: ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ﴾ دونَ العفوِّ؛ وذلكَ لأنَّ العفوَّ قد يصحُّه شيءٌ مِنَ اللَّوْمِ والمؤاخَذَةِ، بخلافِ المغفرةِ فهي سِتْرُ الدَّنْبِ وتركُ إشاعَتِهِ⁽²⁾، فكانتِ المغفرةُ أنسبَ لمقامِ الرِّضوانِ الذي هو أعلى درجاتِ القبولِ.

دلالة تقديم العَذَابِ عَلَى الْمَغْفِرَةِ:

في المقَدِّمِ تنبِيهٌ
وتَحْذِيرٌ، وفي
المُؤَخَّرِ تمهيدٌ
لِفَتْحِ بَابِ الْأَمَلِ

جاءتِ الحقيقةُ ماثلةً في تقابلِ الجزاءِ في قوله تعالى: ﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ﴾، فبُدِئَ بِذِكْرِ العَذَابِ الشَّدِيدِ تَهْيِيبًا وتنبِيهًا؛ إذ الأصلُ في الإنسانِ أَنْ يُنذَرَ أَوَّلًا؛ لِيَكُونَ حَذِرًا متأهبًا، ثُمَّ تَفْتَحَ لَهُ أَبْوَابُ الْأَمَلِ بعدَ أَنْ يَتَحَرَّرَ مِنْ أسبابِ الخوفِ، فرتَّبَ اللهُ تعالى في الآيةِ ما يُخَشَى قبلَ ما يُرْجَى، فكانَ التَّقْدِيمُ للعَذَابِ مِنْ حِكْمَةِ التَّذْكِيرِ بِالخَطَرِ، ثُمَّ أَرْدَفَهُ بِالْمَغْفِرَةِ والرِّضوانِ؛ إشعارًا بأنَّ الرَّحمةَ مرصودةٌ لِمَنْ اسْتَجَابَ⁽³⁾.

العَذَابُ ثَمَرَةٌ
الْإِغْتِرَابِ بِالدُّنْيَا
وَجَزَاءُ الْإِنْهَمَاكِ
فِي نَهْوِهَا وَزِينَتِهَا

وقَدِّمَ ذِكْرُ العَذَابِ فِي الْآخِرَةِ؛ لكونِهِ ثَمَرَةَ الْإِنْهَمَاكِ فِي لَهْوِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزُخْرُفِهَا⁽⁴⁾، وعاقِبَةُ مَنْ آثَرَ الْفَنَاءَ عَلَى الْبَقَاءِ، وَقُدِّمَ الْعَذَابُ عَلَى الْمَغْفِرَةِ؛ لِأَنَّ الْمَقَامَ مَقَامُ تَحْذِيرٍ وَتَبْكِيَةٍ لِمَنْ انْخَدَعُوا

(1) الشوكاني، فتح القدير: 5/ 210.

(2) محمد داود، معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم، ص: 318 - 319.

(3) ابن عطية، للحرر الوجيز: 5/ 267.

(4) إسماعيل حقّي، روح البيان: 9/ 371.

بُزْخَرَفَ الدُّنْيَا، وَأَهْدَرُوا أَعْمَارَهُمْ فِي لَذَاتِهَا الْفَانِيَةِ، ثُمَّ خُتِمَ بِالرِّضْوَانِ؛ إِذْ هُوَ الْغَايَةُ الْعُظْمَى وَالنَّعْمَةُ الْكُبْرَى الَّتِي لَا تُتَالُ إِلَّا بَعْدَ دُخُولِ الْجَنَّةِ، وَلَا تَكُونُ إِلَّا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَحْدَهُ⁽¹⁾.

دَلَالَةُ التَّعْبِيرِ بِـ ﴿مِنْ﴾ فِي قَوْلِهِ: ﴿مِنْ اللَّهِ﴾:

﴿مِنْ اللَّهِ﴾ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ إشارَةٌ كَرِيمَةٌ إِلَى غَلَبَةِ الرَّحْمَةِ، وَسِعَةِ الْفَضْلِ، وَيزِيدُ ذَلِكَ وَضوحًا أَنَّ الْعَذَابَ وَصِفَ بِالشَّدَّةِ، وَأُطْلِقَ، بَيْنَمَا قَيِّدَتِ الْمَغْفِرَةُ وَالرِّضْوَانُ بَأَنَّهُمَا ﴿مِّنَ اللَّهِ﴾ فِي دَلَالَةٍ بَلِيغَةٍ عَلَى أَنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ تَعَالَى أَسْبَقُ مِنْ غَضَبِهِ، وَأَعْظَمُ أَثَرًا مِنْ نِقَمَتِهِ⁽²⁾.

سِرُّ التَّعْبِيرِ بِالِاسْمِ الْأَحْسَنِ ﴿اللَّهُ﴾ دُونَ الرَّبِّ:

عُبِّرَ بِالِاسْمِ الْأَحْسَنِ ﴿اللَّهُ﴾ دُونَ اسْمِ (الرَّبِّ)؛ لِأَنَّ الْمَقَامَ مَقَامَ هَيْبَةٍ وَجَلَالٍ، وَبَيَانُ مُلْكٍ مُّطْلَقٍ وَسُلْطَانٍ قَاهِرٍ؛ فَنَاسَبَ أَنْ يُذَكَّرَ الْإِسْمُ الْجَامِعُ لِأَوْصَافِ الْعِظَمَةِ وَالْكِبَرِيَاءِ؛ إِذِ الْمَغْفِرَةُ وَالرِّضْوَانُ إِنَّمَا يُرْجِيَانِ مِنَ الْمَلِكِ الْأَعْظَمِ، لَا مِنْ سِوَاهُ⁽³⁾.

دَلَالَةُ الْفَصْلِ بَيْنَ الْمَغْفِرَةِ وَالرِّضْوَانِ بِقَوْلِهِ: ﴿مِنْ اللَّهِ﴾:

فِي الْفَصْلِ بَيْنَ الْمَغْفِرَةِ وَالرِّضْوَانِ بِـ ﴿مِنْ اللَّهِ﴾، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ﴾، تَفْخِيمٌ لِّشَأْنِ الْمَغْفِرَةِ، وَتَأْكِيدٌ عَلَى مَصْدَرِهَا الْأَقْدَسِ، فَهِيَ مَغْفِرَةٌ صَادِرَةٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَحْدَهُ؛ إِذَا نَأً بَعْظَمَ الْفَضْلَ وَسِعَةَ الرَّحْمَةِ، وَفِيهِ إِيحَاءٌ بِأَنَّ الْمَغْفِرَةَ هِيَ مِفْتَاحُ الْقَبُولِ، وَمَقْدَمَةُ الْعَطَاءِ، فَيُرجَى بِهَا الدُّخُولُ، ثُمَّ يَتَرَقَّى الْمُؤْمِنُ فِي مَقَامِ الْقُرْبِ حَتَّى يَنَالَ الرِّضْوَانِ، فَالْفَصْلُ هُنَا تَعْبِيرٌ بِلَاغِيٍّ بَارِعٌ يَصَوِّرُ تَدْرُجَ النِّعْمَةِ، وَيَفِيضُ طَمَأنِينَةً فِي الْقَلْبِ، بِأَنَّ أَوَّلَ الْفَيْضِ مِنَ الْغَفُورِ الرَّحِيمِ، وَآخِرُهُ رِضَا الَّذِي لَا يُعَادِلُهُ جَزَاءً.

تَقْيِيدُ الْمَغْفِرَةِ
مِنْهُ تَعَالَى لَغَلَبَةِ
الرَّحْمَةِ وَسِعَةِ
الْفَضْلِ

هَيْبَةُ الْجَلَالِ
وَسُلْطَانِ الْمَلِكِ
الْأَعْظَمِ

تَفْخِيمٌ
لِلْمَغْفِرَةِ،
وَتَدْرُجٌ فِي
النِّعْمَةِ مِنْ
الْقَبُولِ إِلَى
الرِّضْوَانِ

(1) محمّد الهلال، تفسير القرآن الثّري: 349/11.

(2) مجمع البحوث، التفسير الوسيط: 1300/9.

(3) الشربيني، السراج المنير: 211/4.

سِرُّ التَّعْبِيرِ بـ ﴿وَرِضْوَانٌ﴾:

سناء الرِّضا
الإلهي في أبهى
صوره

في التَّعْبِيرِ بـ ﴿وَرِضْوَانٌ﴾ دون (رضا) إيذانٌ بالمبالغة في الرِّضا وتعظيمٌ لِقَدْرِهِ، فهو ليس رِضًا عارِضًا أو يسيرًا، بل هو رِضًا شاملٌ عظيمٌ، وهذه الصِّيغَةُ تَدُلُّ على قَرِّطِ الرِّضا ودوامه وكماله وكَثَرَتِهِ⁽¹⁾، فهو ذروة ما يُمنَحُ للمؤمنين من رَبِّهِمْ سُبْحَانَهُ، وهو تاج النِّعم وخاتمة الإكرام؛ رِضًا يبلغ الغاية في السُّمو.

دلالة تنكير ﴿وَرِضْوَانٌ﴾:

بيان شمول
الرَّحمة وسعة
الفضل لأهل
الدَّرجات العُلَى

نُكِّرَ لَفْظُ ﴿وَرِضْوَانٌ﴾؛ للدَّلالة على اتِّساع عظيم لا يُقَادَر قَدْرُهُ⁽²⁾، وشمول رحمة الله تعالى وِرِضَاهُ، فلا يَخْتَصُّ بِرِضًا محدودٍ أو يسيرٍ، بل هو رِضًا جامعٌ عظيم، يليق بأهل الدَّرجات العُلَى الذين أقبلوا على رَبِّهِمْ بقلوب خاشعة وشُكْرٍ صادق⁽³⁾، فكان جزاؤهم رِضوانًا عظيمًا.

دلالة الجَمْع بين المغفرة والرِّضوان:

كمال النعمة
الإلهية برفع
الموانع، وبلوغ
ذروة القبول
والإكرام بالرِّضا

في الجمع بين المغفرة والرِّضوان في قوله تعالى: ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ﴾ تعبيرٌ عن تمام النِّعمة وكمال العطاء، فالمغفرة تمهِّد الطَّرِيقَ برفعِ الموانع، وغفران الذُّنوب التي قد تحجب العبدَ عن تمام النِّعيم، أمَّا الرِّضوان؛ فهو الغاية الأسمى؛ إذ يَقْتَضِي أن يُعْطَى العبدُ مِن رَبِّهِ مُنْتَهَى ما تَلْتَذُّ به رُوحُه، وتقرُّ به عينُه، فهو رِضًا لا يَحْدُهُ حَدٌّ، ولا يعلوه مَطْلَبٌ، وبه يبلغ المؤمنون ذروة الكرامة، بعد أن أزيلت عَنْهُمْ آثارُ التَّقْصِيرِ بِمَغْفِرَةٍ واسعةٍ، فتكَمَّلَ لهم القبول، وتمَّ لهم الإكرام⁽⁴⁾.

سِرُّ عَدَمِ ذِكْرِ الْجَارِّ وَالْمَجْرُورِ فِي قَوْلِهِ: ﴿مِّنَ اللَّهِ﴾ مع الرِّضوان:

إذا كانت المغفرة
فضاءً إلهيًّا؛
فإنَّ الرِّضوان لا
يكونُ إلَّا للحقِّ
سُبْحَانَهُ

في حذف الجارِّ والمجرور ﴿مِّنَ اللَّهِ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَمَغْفِرَةٌ

(1) محمَّد الهلال، تفسير القرآن التَّري: 349 / 11.

(2) أبو السَّعود، إرشاد العقل السَّليم: 211 / 8.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 290 / 19.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 406 / 27.

مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ ﴿١﴾ مع الرِّضْوَانِ، وثبوته مع المغفرة؛ لأنَّ الغفران هو المدخلُ إلى الجنة، ولا يتمُّ إلا بتفضلِ الله تعالى وعفوه، فذكرت نسبتها تأكيداً لفضل المنَّة، أمَّا الرِّضْوَانُ؛ فجاء مطلقاً غير مقيّد؛ لأنَّه لا يتصوّر إلا من الله تعالى وحده^(١).

سِرُّ عَدَمِ وَضْفِ الرِّضْوَانِ بِالْأَكْبَرِيَّةِ، كما في قوله: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾:

قال الله تعالى هنا: ﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ﴾، وقال في سورة التَّوْبَةِ: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: 72]، فوصف الرِّضْوَانُ بِالْأَكْبَرِيَّةِ في التَّوْبَةِ دون الحديد، ووجه ذلك: أنَّه لما كان السِّياق قائماً على إبراز المُفارَقة بين متاع الحياة الدُّنيا وما عند الله تعالى؛ ناسبه مُطلقُ الجَمْع بين كلِّ ما عند الله تعالى بقطعِ النَّظر إلى الفَرْقِ بين نعيمٍ وآخر، فلم يوصفِ الرِّضْوَانُ بكونه أكبر.

بخلاف آية التَّوْبَةِ، فقد صُدِّرت بقوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: 72]، فلما كان أقلُّ القليل من رضوان الله تعالى أكبر من كلِّ النِّعيم الذي تقدَّمه؛ ناسبه عَدَمُ عَطْفِ الرِّضْوَانِ على ما قبله، ورفَّع على الابتداء، فقال: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: 72]⁽²⁾.

بَلَاغَةُ الْمُقَابَلَةِ بَيْنَ الْعَذَابِ الشَّدِيدِ وَالْمَغْفِرَةِ وَالرِّضْوَانِ:

بين العذابِ والمغفرةِ والرِّضْوَانِ في الآية مقابلةٌ، ولم يُقابل العذابُ الشَّدِيدُ بضدٍّ واحدٍ في الآية، بل بضدَّينِ عَظِيمَيْنِ، وهما المغفرةُ التي تَمْحو الذُّنُوبَ، والرِّضْوَانُ الذي يرفعُ مراتبَ القُربِ والنِّعيمِ، فكان

دِقَّةُ الْبَيَانِ
الْقُرْآنِيِّ فِي انْتِقَاءِ
الْأَلْفَاظِ الْمُدِيمَةِ
لِسِيَاقِهَا

تصويرُ جزاءِ
الغافلين عن
الآخرة الدَّهِنِ
بالدُّنيا، وبيانُ
مآلِ مَنْ اتَّخَذَهَا
طريقاً لِلنَّجَاةِ

(1) محمّد الهلال، تفسير القرآن الثَّري: 11 / 349.

(2) سعد محمد، الآيات للتشابهات، ص: 295.

في هذا رحمة مضاعفة تقابل شدة العذاب⁽¹⁾، ومفارقة بلاغية تشي بعُمق اللطف الإلهي من باب (لَنْ يَغْلِبَ عُسْرُ يُسْرَيْنِ)⁽²⁾.

بلاغة العطف بالواو في قوله: ﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا﴾:

الواو في قوله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا﴾ عاطفة الجملة بعدها على ما قبلها⁽³⁾؛ إذ يأتي العطف ليؤكد على أَنَّ الحياة الدنيا ما هي إلا متاع زائل، وبهولان عابر، يُلْهي بزينته الفانية، ويُضِلُّ صاحبه في غمرة من الغرور الخادع، وأنَّ هذا المتاع لا يلبث أن يَبُوءَ بالفناء، وأنَّ التعلُّق به سبب في الانغماس في لَهْوٍ يَضُرُّ أكثر ممَّا ينفع⁽⁴⁾.

والعطف واقع للمقابلة بين الحالين، فقد ذُكِرَتْ حالُ الآخرة بما فيها من عذاب أو رحمة، ثُمَّ عُطِفَ عليها حالُ الدنيا؛ للتحذير من الاغترار بها، فكان في هذا العطف تعميق للتفسير من متاعها الزائل، وزيادة في الترغيب بما عند الله تعالى من الجزاء الدائم⁽⁵⁾؛ تحقيقاً للموازنة بين الفاني والباقي، والخادع والصّادق.

بلاغة أسلوب القصير في قوله: ﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ﴾:

في قوله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ﴾ أسلوب قصير بديع، يُحَصِّرُ فيه شأن الدنيا في وصفٍ واحدٍ هو ﴿مَتَعُ الْغُرُورِ﴾، وهو قصر موصوف على صفة، وهو قصر ادّعائي يُراد به التنبيه لا إلى الحقيقة المطلقة، بل إلى الغالب من حالها، وغالب من يُقْبَلُ عليها؛ إذ تُلْهي بِزُخْرُفِهَا، وتخدع بِزَيْفِهَا، فتغدو متاعاً زائلاً لِمَنْ اتَّخَذَهَا غاية، لا وسيلة، فجاء الحصر؛ ليصوّر

ربط مصير
الغافلين بزيف
المتاع وتأكيد
زوال اللّهو
والغرور

مقابلة بليغة
بين حال الدنيا
وحال الآخرة؛
لتعميق
الترغيب والتنفير

تصوير لغالب
أحوال الدنيا في
نظر طالبيها،
وبيان خداع
متاعها الزائل

(1) السمين الحلي، الدر اللصون: 250 / 10 - 251.

(2) رواه الإمام مالك في موطنه برقم: (964) موقوفاً على عمر رضي الله عنه، وفيه انقطاع، وصح من كلام ابن مسعود رضي الله عنه، كما أفاده ابن حجر في فتح الباري: 712 / 8، ويروى هذا مرفوعاً ولا يصح، يُنظر:

الألباني، ضعيف الجامع الصغير برقم: (4784).

(3) الهرري، حقائق الرّوح والزّيجان: 507 / 28.

(4) البقاعي، نظم الدرر: 291 / 19.

(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 407 / 27.

الحياة الدنيا مجردة من كل قيمة عُلِّيا، ما لم تُجعل سبيلاً إلى الفَوْزِ بِالْآخِرَةِ⁽¹⁾.

سِرُّ وَصْفِ الْحَيَاةِ بِالدُّنْيَا فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾:

وُصِفَتِ الْحَيَاةُ بِـ «الدُّنْيَا» فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾؛ لِلإِيْمَاءِ إِلَى دَنَاءَتِهَا وَحَقَارَتِهَا، فَهِيَ سُفْلَى فِي الْمَرْتَبَةِ، وَضِيعَةٌ فِي الْقِيَمَةِ، لَا تَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى جَنَاحَ بَعُوضَةٍ.

دَلَالَةُ تَقْدِيرِ الْمُصَافِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ مُضَافٌ مَحْذُوفٌ، وَالتَّقْدِيرُ: وَمَا أَحْوَالُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، أَيْ: مَا شُؤْنُهَا وَتَقْلِبَاتُهَا وَمُظَاهِرُهَا الزَّائِلَةُ إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ⁽²⁾، فَالْمَحْذُوفُ أُشِيرَ إِلَيْهِ بِلَطِيفِ الْعِبَارَةِ لِتُوجِيهِ النَّظَرَ إِلَى أَنَّ الدَّمَ لَيْسَ لِلْحَيَاةِ مِنْ حَيْثُ هِيَ، بَلْ لِمَا يَغْتَرِيهَا مِنْ أَحْوَالٍ خَدَاعَةٍ، وَزِينَةٍ فَانِيَةٍ تُغْري مَنْ طَلَبَهَا لِدَانَتِهَا، دُونَ أَنْ يَجْعَلَهَا سُلْماً لِلْآخِرَةِ.

سِرُّ التَّعْبِيرِ بِالْمَتَاعِ دُونَ الْمُنْفَعَةِ:

فِي اخْتِيَارِ لَفْظِ «مَتَاعٍ» بَدَلاً مِنْ (مَنْفَعَةٍ) سِرٌّ بَيَانِيٌّ دَقِيقٌ؛ إِذْ إِنَّ الْمَتَاعَ لَفْظٌ يَنْبِضُ بِحَسِّ الرِّغْبَةِ وَالتَّعَلُّقِ، وَيَشْمَلُ كُلَّ مَا يُتَمَتَّعُ بِهِ مِنْ طَيِّبَاتِ الْحَيَاةِ وَزِينَتِهَا، سَوَاءً أَكَانَ قَلِيلاً أَمْ كَثِيراً، طَعَاماً أَمْ مَالاً، أَثَاثاً أَمْ أَدَوَاتٍ⁽³⁾، فَهُوَ أَوْسَعُ دَلَالَةً مِنْ (الْمَنْفَعَةِ) الَّتِي تُشِيرُ إِلَى الْجَدِّ وَالْفَائِدَةِ فَحَسْبُ، فَجَاءَ الْمَتَاعُ؛ لِيُلَامِسَ ظَاهِرَ التَّنْعَمِ، وَزَخْرَفَ الْاِقْتِنَاءَ، وَيُوْحِي بِبَرِيقٍ خَادِعٍ يَسْتَهْوِي النُّفُوسَ.

دَلَالَةُ التَّعْبِيرِ بِالْمَتَاعِ مُفْرَداً مَنْكَراً:

جَاءَ التَّعْبِيرُ بِلَفْظِ «مَتَاعٍ» مُفْرَداً مَنْكَراً؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى قَلَّتِهِ

دَنَاءَةُ الدُّنْيَا
وَحَقَارَتُهَا

ذَمُّ الْحَيَاةِ
لَا لِذَاتِهَا
بَلْ لِزُخْرُفِهَا
وِخْدَاعِهَا

بَرِيقُ التَّنْعَمِ
وَزَخْرَفُ الْاِقْتِنَاءِ
الَّذِي يَخْدَعُ
النُّفُوسَ،
وَيَتِمَاهِي مَعَ
ظَاهِرَةِ الْغُرُورِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 407 / 27.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 407 / 27.

(3) محمّد الهلال، تفسير القرآن الثّري: 323 / 2.

بيان قلة الدنيا
وحقارتها،
والتزهيد في
العمل لها
والترغيب في
الآخرة

الغرور إظهار
الضرر في صورة
النفع، وتزيين
الهلكة بثوب
الطمع

الغرور: دالٌّ
على فتنة متاع
الدنيا، والغرور:
صفة للشيطان

شمول كل صور
الخداع الملازم
لحياة الدنيا

وحقارته، فهو متاع يسير لا يلبث أن يزول، فلا يليق أن يتخذ غايةً، بل هو في حقيقته وسيلةٌ محدودةٌ للمؤمن يُبْلِغُه إلى الجنة، ووُصِفَ عملُ الحياة الدنيا بأنه متاعُ الغرور؛ تزهيداً في الاشتغال بها لذاتها، وتنفيراً من التعلق بثمراتها، وترغيباً في العمل للآخرة⁽¹⁾.

سرُّ التعبير بالغرور دون الخداع:

اختير لفظ **«الْغُرُورِ»** بدلاً من (الخداع)؛ لما فيه من دقة المعنى وعمق الدلالة؛ فالغرور ليس محض خداع عارض، بل هو إظهار الضرر في صورة النافع، والتلبس على العاقل بما يرغب فيه مع كونه مهلكاً في حقيقته⁽²⁾، فالغرور يُزَيِّن الباطل بثوب الحق، ويقدم الفاني في هيئة الباقي، فيُفْتَن به القلب، ويُغفل عن العاقبة.

سرُّ التعبير بالغرور بالضم دون الغرور بالفتح:

في التعبير بـ **«الْغُرُورِ»** بالضم دون (الغرور) بالفتح: سرٌّ دقيق من أسرار البيان، فالمضموم هو ما يُغْتَرُّ به من زُخْرَف الدنيا، ومتاعها الخادع⁽³⁾، وهو عينُ المراد في الآية؛ إذ تَفَتَّنُ الدنيا الناظر إليها ببريقها، فتلبس الزائل ثوب الخلود، والمضر حلة النفع، أما المفتوح الغين؛ فهو اسمُ فاعلٍ، يُطْلَق على الشيطان، لكونه أصل التغرير، فيزيِّن المعاصي، ويُمَنِّي الإنسان بالمَغْفرة، فيُعْوِيهِ عَنِ التَّوْبَةِ والعمل الصالح⁽⁴⁾.

دلالة التعريف بـ (أل) مع لفظ **«الْغُرُورِ»**:

(أل) في لفظ **«الْغُرُورِ»** يدلُّ على الاستغراق والعموم، فهو شامل لكل أشكال الخداع والزيف الملازمة للحياة الدنيا، فلا يختصُّ بغرور معينٍ أو حادثٍ عابرٍ، بل يُشِيرُ إلى طبيعة الحياة الدنيا ذاتها،

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 256 / 17.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 407 / 27.

(3) الدرويش، إعراب القرآن وبيانه: 469 / 9.

(4) السمعاني، تفسير القرآن: 240 / 4.

التي بَطَبَعَهَا تُزَخَّرِف، وتَزَيِّن، وتَخَدَعُ، فلا ينفكُ الإنسانُ عنها إلاَّ بعد إدراكِ حقيقتِها وخطَرِها.

دلالة إضافة ﴿مَتَعٌ﴾ إلى ﴿الْغُرُورِ﴾:

أضيفَ المتاعُ إلى ﴿الْغُرُورِ﴾ في قوله: ﴿مَتَعُ الْغُرُورِ﴾، فلم يُجْعَلِ الغرورُ وصفًا عارضًا له، بل صيِّرَ عينَ المتاع، وهذه الإضافةُ تُبرزُ أنَّ التَّمَتُّعَ بالدُّنيا لا ينفكُ عن الاغترار بها لِمَن رَكَنَ إليها، واتَّخَذَهَا غَايَةً، وَعَمِلَ لها، وَتَرَكَ الآخرةَ⁽¹⁾.

الغُرُورُ عَيْنُ
المتاع، فالدُّنيا
بزخارفها لَذَّةٌ
موهومةٌ وزينةٌ
خادعةٌ

والإضافةُ هنا جاءت على معنى لامِ العاقبة؛ إذ تُصوِّرُ هذا المتاعَ في مآلِهِ الأخير لا في حقيقته الظَّاهرة، فهو متاعٌ يَنْتَهِي أمرُهُ إلى الغُرور، ويؤوِّلُ شأنَهُ إلى أن يُغري النَّاظِرِينَ بِبَريقِهِ الخادع، فيَسْحَرُ أَبْصارَهُمْ، وَيَسْتَدْرِجُ عُقُولَهُمْ، فيُسْرِعونَ إلى التَّلَقُّقِ به، والرُّكُونِ إليه، حتَّى إذا اسْتَحْكَمَ في قُلُوبِهِمْ تَكشَّفَ لَهُمْ عَن سَرابٍ زائِلٍ ووَهْمٍ خادِعٍ⁽²⁾.

سِرُّ ختام الآية بقوله: ﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ﴾:

خَتِمَتِ الآيةُ الكريمةُ بقوله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ﴾، وهو تقريرٌ بليغٌ لحقيقة الدُّنيا في ذاتها⁽³⁾، وتنبيهٌ إلى خطأ مَنْ غَفَلَ عن مقصدها الأسمى، فالدُّنيا في أصلها نعمةٌ مخلوقةٌ بِحِكْمَةٍ، وجُعِلَتِ متاعًا يُنْتَفَعُ به، وزادًا يُتَزَوَّدُ منه للآخرة، فمن أَحَبَّها على هذا الوجه، واتَّخَذَهَا جَسْرًا يُعْبَرُ به إلى دارِ الخلود؛ لَمْ تَكُنْ له غرورًا، بل كانت سرورًا وبهجة، وأمَّا مَنْ رَكَنَ إليها لذاتها، واستَغَرَّقَ في زخارفِها، وطلَبَها لغيرِ ما شَرِعتْ له؛ صارت لعبًا ولهوًا وخداعًا⁽⁴⁾.

الحياة الدُّنيا
بين سرورِ الحقِّ
وغرورِ الباطل،
فهو تمييز
الحكمة من
اللهو واللَّعب

(1) القنوجي، فتح البيان: 417/13.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 407/27.

(3) الشوكاني، فتح القدير: 210/5.

(4) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 529/9.

دلالة التعبير بفعل الكون «يَكُونُ» دون الجعل، كما في سورة الزمر «يَجْعَلُهُ»:

بيان فاعلية
القدرة الإلهية
في سورة الزمر،
وتصوير التحوّل
الذاتي في سورة
الحديد

استعمل فعل الجعل في سورة الزمر: «ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَمًا» [الزمر: 21]، وهو استعمال دقيق في موضعه بليغ في أدائه، فقد جاء السياق فيها مسنداً الأفعال المتتابعة إلى الله تعالى: (أَنْزَلَ)، و(سَلَكَ) و(يُخْرِجُ) و(يَجْعَلُ)، فافتضى النسق أن يُعْطَفَ فعل الجعل عليها؛ إذ هو فعل من أفعال القدرة والتصرف الإلهي، أما في سورة الحديد؛ فلم يُسند الفعل السابق إلى الله تعالى، بل جاء السياق مصوراً حال الغيث في ذاته: «كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا»⁽¹⁾، فجاء بفعل الكون موافقاً لبناء التصوير؛ إذ المراد إبراز تدرج النبات في تحوّلها الذاتي من حياة إلى فناء، دون نسبة الفعل المباشر إلى الله تعالى كما في موضع سورة الزمر، وبهذا يظهر سرُّ التفرقة؛ فالتعبير بفعل الجعل في الزمر مشهدٌ لفاعلية القدرة، والتعبير بفعل الكون في الحديد تصويرٌ لتحوّل الشيء بنفسه إلى ما هو صائرٌ إليه.

فالآيتان الكريمتان من سورتي الزمر والحديد جاءتا في سياقين مختلفين، فافتضى ذلك اختلاف التعبير، ففي سورة الزمر قوله تعالى: «ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَمًا» [الزمر: 21]، جاء في معرض التنبيه على الاعتبار والتفكير في تقلُّب أحوال النبات من خروجه إلى نهايته، ولأنَّ المقصود هناك إسناد جميع الأطوار إلى الله تعالى مباشرةً؛ أسند سبحانه الفعل إلى ذاته العلية، فقال: «ثُمَّ يَجْعَلُهُ» [الزمر: 21]؛ تنبيهاً على أنَّ هذه المراحل من الإحياء إلى الفناء لا يملكها غيره، فهو وحده المتصرف، ثم ختم بقوله: «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ» [الزمر: 21].

(1) الإسكافي، درة التنزيل: 1/ 1255.

أما في سورة الحديد؛ فقله تعالى: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَهُ مُضْفَرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا﴾، سيق على سبيل التمثيل للحياة الدنيا، وما فيها من غرور وزينة سريعة الزوال، ولم يكن الغرض إسناد الأفعال صراحة إلى الله تعالى، بل الإشارة إلى سرعة تحول الدنيا من نضرة إلى اضمحلال، فاكْتَفَى بفعل الكون ﴿ثُمَّ يَكُونُ﴾ الذي يوافق طبيعة ضرب المثل⁽¹⁾.

بلاغة الاتفاق والاختلاف مع سورتي الأنعام والعنكبوت:

في السياق القرآني الكريم تتنوع أوصاف الحياة الدنيا بين: ﴿مَتْنَعُ الْغُرُورِ﴾ و﴿لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ و﴿لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾ [العنكبوت: 64]، وكل وصف يحمل دلالة بلاغية عميقة تتناسب مع سياق الآية والموقف الذي تعالجه؛ إذ يُقدِّم (اللعب) على (اللهو) في سورتي الأنعام والحديد؛ ليكون الاهتمام بالعبث المباشر بالدين، والاستهزاء بآيات الله تعالى، كما في حال الكفار الذين يستهزئون بالحق، ثم ينسفون برُحْف الدنيا، بينما يُقدِّم (اللهو) على (اللعب) في سورتي الأعراف والعنكبوت؛ ليعكس الانشغال الأكبر بالملذات الدنيوية والشهوات قبل الانحدار إلى العبث بالدين؛ إذ إنَّ (اللهو) هو الأصل الذي يؤدي إلى (اللعب) باعتباره مرحلة تالية، كما أنَّ تقديم (اللهو) في سورة العنكبوت يعكس قصر أمد الدنيا مقارنة بالآخرة؛ لأنَّ زمن اللهو هو الأكثر شيوعاً، والأقصر إحساساً، بينما يُستعمل وصف ﴿مَتْنَعُ الْغُرُورِ﴾؛ لبيان زوال الدنيا وخداعها، ممَّا يجعل هذه الأوصاف متكاملة في تصوير حقيقة الحياة الدنيا، وترهيب الغافلين عنها؛ إذ يُظهر التقديم والتأخير في الألفاظ دقة بلاغية عالية تناسب كل موقف، وتبرز مراحل الضلال والغفلة بترتيبها المنطقي والنفسي⁽²⁾.

بلاغة الترتيب
بين اللعب
واللهو في وصف
الحياة الدنيا في
السياق القرآني

(1) ابن الزبير الغرناطي، ملاك التأويل: 2/ 426.

(2) الخطيب الإسكافي، درة التنزيل: 2/ 516 - 525.

❁ الفروق المُعْجَمِيَّةُ:

اللَّعِبُ وَاللَّهُوُ:

بين اللَّعِبِ
واللهو عمومًا
وخصوصًا
وَجْهِيًّا

اللهو واللَّعِبُ متقاربان، حتَّى فسَّر بعضُ أهلِ العربيَّةِ أحدَ اللَّفْظَيْنِ بِالْآخَرِ، كما فعلَ ابنُ الأثير؛ إذ قال: "اللهو: اللَّعِبُ، يُقالُ: لَهَوْتُ بِالشَّيْءِ أَلْهُو لَهْوًا، وَتَلَهَّيْتُ بِهِ: إِذَا لَعَبْتَ بِهِ، وَتَشَاغَلْتُ، وَغَفَلْتُ بِهِ عَنْ غَيْرِهِ"⁽¹⁾، وقد يَكُونُ قَصْدُهُ التَّقْرِيبَ، كما هو طريقةٌ كثيرٍ من أصحابِ المُعْجَمَاتِ في جُمْلَةٍ مِنَ الْأَلْفَاظِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ بَيَانَ حَقِيقَتِهَا.

والتَّحْقِيقُ أَنَّ بَيْنَهُمَا فَرْقًا، وقد اختلفَ أهلُ العِلْمِ في محلِّ الفَرْقِ بَيْنَهُمَا؛ فاخْتارَ أَبُو السُّعُودُ أَنَّ اللَّهَوَ صَرْفُ الهمِّ إِلَى ما لَا يَحْسُنُ أَنْ يُصْرَفَ إِلَيْهِ، بخلاف اللَّعِبِ؛ فَإِنَّهُ طَلِبُ الفَرْحِ بِما لَا يَحْسُنُ أَنْ يُطْلَبَ⁽²⁾.

وَالْأَصَحُّ أَنَّ بَيْنَهُمَا عُمومًا وَخُصُوصًا وَجْهِيًّا؛ وذلك أَنَّ حَقِيقَةَ اللَّعِبِ: عَمَلٌ أَوْ قَوْلٌ لَيْسَتْ لَهُ غَايَةٌ مُفِيدَةٌ، وَإِنَّمَا غَايَتُهُ إِراحَةُ الْبَالِ، وَتَقْصِيرُ الْوَقْتِ، وَاسْتِجْلَابُ الْعُقُولِ فِي حَالِ ضَعْفِهَا، كما هو أَكْثَرُ عَمَلِ الصِّبْيَانِ، بخلاف اللَّهَوِ؛ فَإِنَّهُ ما يَشْتَغِلُ بِهِ الْإِنْسَانُ مِمَّا تَمِيلُ إِلَيْهِ النَّفْسُ، وَتَرْتاحُ، وَلَا يَتَغَبَّ عَقْلُهُ فِي الاِشْتِغَالِ بِهِ، فَلَا يُطْلَقُ اللَّهَوُ إِلَّا عَلَى ما فِيهِ لَذَّةٌ وَاسْتِمْتاعٌ وَمُلاَءَمَةٌ لِلشَّهْوَةِ.

فِيَجْتَمِعُ اللَّهَوُ وَاللَّعِبُ فِي الْعَمَلِ الَّذِي فِيهِ مُلاَءَمَةٌ، وَينْفَرِدُ اللَّعِبُ فِي نَحْوِ لَعِبِ الصِّبْيَانِ، وَينْفَرِدُ اللَّهَوُ فِي نَحْوِ الْمَيْسِرِ وَالصَّيْدِ⁽³⁾.

الأولاد والأبناء:

الولدُ أعمُّ مِنَ
الابنِ عموماً
مُطْلَقاً

بَيْنَ الْأَوْلَادِ وَالْأَبْنَاءِ فَرْقٌ، وَهُوَ أَنَّ (الابنَ) يَقَعُ عَلَى الذَّكَرِ خَاصَّةً، أَمَّا الْوَلَدُ؛ فَيَقَعُ عَلَى الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى جَمِيعاً⁽⁴⁾، وقد اسْتُعْمِلَ لَفْظُ

(1) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر: (لها).

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/ 231.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 7/ 193.

(4) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 13.

﴿وَالْأُولَادِ﴾ جمع (ولد)، ولم يُستعمل لفظ (الأبناء) في قوله تعالى: ﴿وَتَكَاثَرُوا فِي الْأَمْوَالِ وَالْأُولَادِ﴾؛ لأن الآية في مقام بيان مظاهر الافتتان بزينة الدنيا، والتفاخر بمظاهر الكثرة العددية والمالية، فناسب أن يُؤتى باللفظ الأعم الذي يُحيط بجميع ما يتفاخر به الناس من ذرية، ذكورا وإناثا، ثم إن لفظ ﴿وَالْأُولَادِ﴾ يوحي بالامتداد والارتباط العاطفي والنسبي الذي يلتذ به الآباء، ويأسون بكثرتهم، بخلاف (الأبناء)، فهو أدل على جهة النسب والانتساب لا على مطلق الكثرة والتفاخر، فجاء التعبير بـ ﴿وَالْأُولَادِ﴾؛ ليكون أبلغ في تصوير حرص الإنسان على ما يملكه من ذرية كما يحرص على المال، فيدخل في ذلك كل ما يتكاثر به من نسله، من غير تقييد بجنس أو صفة.

الغيث والمطر:

الفرق بينهما في الفائدة والاستعمال لا الماهية، فالغيث هو "المطر الذي يُغيث من الجذب، وكان نافعا في وقته، والمطر قد يكون نافعا، وقد يكون ضارا في وقته وفي غير وقته"⁽¹⁾، واستعمل لفظ الغيث في قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ﴾؛ لأن الغيث في لسان العرب يُطلق على المطر النافع المفرج للكروب، المنزل في أوانه بالخير والبركة، فيكون محبوبا للنفس ومبشرا بالحياة والنماء، أما المطر؛ فيستعمل في الخير والشر، لكنه يرد في القرآن غالبا في سياق العذاب والعقوبة، كقوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾ [الشعراء: 173]، والسياق في آية الحديد قائم على تصوير بهجة الناس بزينة الدنيا وزخرفها حين تخضر الأرض، وتزدهر بالنبات الذي يبهج الأنظار، فناسب أن يذكر الغيث؛ لأنه يُثير في النفس السرور والرجاء، ويوهم بالدوام

غيث يبهج
الأبصار، ويوهم
بالدوام، ثم
يزوي كما تذوي
الدنيا

(1) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 391.

والرَّخاء؛ ليكون أَوْقَعَ في تصوير خِداع الدُّنيا حينَما يزول جمالُها
سريعاً بعد نضرتِها.

الكفَّار والزَّراع:

جاء التَّعبير بِوَصْفِ الزَّراع بِـ **«الْكُفَّار»** في هذا الموضع؛ لما
في السِّياق مِن تَقْرِيعٍ لِلدُّنيا، والتَّحذِيرِ مِنَ الاغْتِرارِ بِزُخْرُفِها،
فمناسب أن يُؤْتى بِاللَّفْظِ الدَّالِّ عَلَى الجُحودِ والتَّغْطِيَةِ؛ لِيشيرَ إلى أَنَّ
الإعْجابَ بِالنَّباتِ لا يبلُغُ حدَّ الإلْهَاءِ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَّا في حَالِ الكُفْرِ
بِه سُبْحَانِه، فَالكافِرُ الَّذِي هُوَ الزَّارِعُ في ظاهِرِ المِثْلِ يَسْتُرُ البَذْرَةَ
في الأَرْضِ، كما يَسْتُرُ الإِيْمانُ في قَلْبِه بِجُحودِهِ وطُغْيَانِه، فلا يثمرُ
لِه ذلك إِلَّا انبهاراً زائِفاً بِزِينَةِ الدُّنيا، أَمَّا الْمُؤْمِنُ وَإِنْ أَعْجَبَهُ حُسْنُ
النَّباتِ؛ فَإِنَّ بَصَرَهُ يَتَعَدَّى الظَّاهِرَ إلى قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى البَاهِرَةِ،
فَيَسْتَدِلُّ بِها عَلَى الآخِرَةِ، وَيَحْمِلُه ذلكَ عَلَى مَزِيدٍ مِنَ الإِيْمانِ
وَالطَّاعَةِ⁽¹⁾، وَالْكُفَّارُ بِمَعْنَاهُمُ الإِيْمانيُّ هُمُ أَشَدُّ النَّاسِ افْتِتَاناً بِزِينَةِ
الدُّنيا؛ لِأَنَّهُمْ لا يُؤْمِنُونَ بِالْبَعْثِ، وَلا يَرَوْنَ وراءَ الحَيَاةِ الدُّنيا ما لَّا،
فجاء التَّعبيرُ بِصِفَةِ الكُفْرِ؛ لِيجْمَعَ في طِيَّهِ دلالةُ الحِسِّ ودلالةُ
العَقِيدَةِ، وَلِيشيرَ إلى أَنَّ الإعْجابَ بِالدُّنيا لا يَشْتَدُّ، وَلا يَسْتَغْرِقُ إِلَّا
في نَفوسٍ مِّنْ انْقَطَعَتْ آمالُهُمْ عَنِ الآخِرَةِ.

الغُرور والخِداع:

التَّعبير بِـ **«الْغُرُورِ»** دُونَ الخِداعِ أدقُّ وأَبْلَغُ في سِياق، قَوْلِه تَعَالَى:
«وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتاعُ الْغُرُورِ»؛ لِأَنَّ الغُرورَ يَتَضَمَّنُ مَعْنَى الإِيْهامِ
الباعِثِ عَلَى الاغْتِرارِ، أَي: أَنَّ يَرى المرءُ الشَّيْءَ في صُورَةٍ تُسَرُّ، فيُقبَلُ
عَلَيْهِ، وَالْحَقِيقَةُ عَلَى خِلافِ ذلكَ، فَيَنْتَهِي بِه إلى الضَّررِ والهِلاكِ،
كما يُخَدَعُ العَطِشانُ بِسَرابٍ، فيَحْسِبُه ماءً، فيَهْلِكُ عَطِشاً⁽²⁾، والأَصْلُ

كُفَّارُ الزَّرْعِ وَكُفَّارُ
الْقَلْبِ حِينَ
تُغْطِي الزَّيْنَةُ
نُورَ الإِيْمانِ

زِينَةُ تَخْدَعُ
وَمَتاعُ يَغُرُّ حِينَ
يُزَيِّنُ الهَلَاكَ
بثُوبِ السَّرَةِ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 19 / 288 - 289.

(2) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 383.

في الغُرور: "أن يتراءى الشَّيْءُ في ظاهره حسنًا ممَّوَّهاً، يغتَرُّ به كُلُّ ناظرٍ إليه ظاهراً، فإذا نَظَرَ في باطنه؛ وجده قاتلاً مُهْلِكاً"⁽¹⁾، فالدُّنيا تُعرِضُ للإنسان متاعها وزينتها في صورة لذة وسرور، فيغترُّ بها، وَيَطْمَئِنُّ إليها، مع أنَّ حَقِيقَتَهَا زائلةٌ ووبالها عظيمٌ، أمَّا الخداع؛ فغَايَتُهُ سَتْرُ وجهِ الحقِّ، وإخفاء الصَّواب، وهو أعمُّ من أن يكون في صورة مَسَرَّةٍ أو مَضَرَّةٍ؛ إذ قد يُسْتَعْمَلُ في إيقاع المرء في المكروه بالتَّورية أو الإخفاء، لا بالإيهام باللذة⁽²⁾، ومن هنا كان لفظ الغرور أليقَ بالمعنى؛ لأنَّه يُطابِقُ طبيعة الدُّنيا التي تُغري بزخرفها، وتوهم بدوامها، فتوقع المغرور في الغفلة والضَّرر، وهو يظُنُّ أنَّه في نعيم وسرور، وهذا أبلغُ في التَّحذير والتَّنْفير.

(1) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 2 / 553.

(2) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 384.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الستون،
سورة الحديد من الآية 14 إلى سورة الخشر الآية 10
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447 هـ - 2026 م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026 م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الستون، سورة الحديد من الآية 14 إلى سورة الخشر الآية 10
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2026.
مج. 60، 802 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك: 978-9948-643-66-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 60: المجلد الستون، سورة الحديد من الآية 14 إلى سورة الخشر الآية 10.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-
ألفاظ أ-العنوان ب- مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-643-66-1

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-5294607 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"